بشر عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صُوى و«مناراً» كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٥ﻫ ١٢ برج العقرب سنة ١٣٠٥ هش ٥ نوفمبر سنة ١٩٢٦



نبشر قراء التفسير بأنا شرعنا في إتمام تفسير الجزء الأول منه، الذي اشتد إلحاحهم علينا بطلبه، وكنا منذ بضع سنين قد طبعنا تفسير الفاتحة منه بعد أن زدنا فيه زيادة صالحة ثم ألحقنا به فوائد تتعلق به في أربع كراسات. وإنا ننشر بعض هذه الفوائد على سبيل النموذج:

نموذج من علاوة تفسير الفاتحة

﴿ معارضة نصرانية سخيفة ، للفاتحة الشريفة ﴾

عرف كل من ذاق طعم البلاغة العربيـة من مؤمن وكافر أن القرآن أبلغ الكلام وأفصحه ، لم يكابر في ذلك مكابر ، ولم يجادل فيه مجادل ، وان الفاتحة من أعلاه فصاحة وبلاغة وجمعاً للمعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة ، واشتمالا على مهمات الدين من صفات الله التي تجذب قلب من تدبرها الى حبه ، وتنطق لسانه بحمده ، وتعلي همته بتوحيده ، وتهذب نفسه بمعاني أسمائه وصفاته ، وإحاطة ربوبيته وملكه ، وتذكره يوم الدين الذي يجزى فيه على عمله ، وتوجه وجهه الى السير على الصراط المستقيم في خاصة نفسه ، وفي معاملة الله ومعاملة خلقه ، وتذكره القدوة الصالحة في ذلك باضافة الصراط الذي يتحرى الاستقامة عليه ، ويسأل الله توفيقه دائماً له الى صراط الذين أنعم الله عليهم نعمه ، ومنحهم رضوانه ، وجعلهم هداة خلقه بأوامره وأسوتهم الحسنة في علمهم ومثل الكمال في آدابهم وأخلاقهم ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وتحذره من شرار الخلق ، الذين يؤثرون الباطل على الحق ، ويفضلون الشر على الخير ، على علم منهم بذلك ، وهم المغضوب عليهم ، — أو على جهل به كالذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وهم الضالون . وهـذا التحذير يتضمن حث المسلم المتعبد بالفاتحة المكرر لها في صلاته على العناية بتكميل نفسه بتحري التزام الحق وعمل الخير ، باحكام العلم وتربية النفس والتمرن على العمل الصالح

هذه السورة الجليلة التي ذكرناك أيها القاري ، بمجمل مما فصلناه في تفسيرها يزعم أحـد دعاة النصرانية في هذا العصر أنها بمعزل من البـلاغة بأن كل ما بعد الصراط المستقيم فيها « حشو وتحصيل حاصل » وماقبله يمكن اختصاره بما لايضيع شيئا من معناه ، كما فعله بعضهم – قال هذا القول داعية من المبشرين المأجورين من جمعيات التبشير الانكليزية أو الاميركانية في كتاب لفقه في ابطال إعجاز القرآن بزعمه ، بل أنكر بلاغته من أصلها قال :

« وما أحسن قول بعضهم أنه لو قال : الحمد للرحمن ، رب الاكوان ، الملك

الديان ، لك العبادة وبك المستعان ، اهدنا صراط الايمان . لا وجز وجمع كل المعنى وتخلص من ضعف التأليف والحشو والخروج عن الردي ، كما بين الرحيم ونستعين) اه

أقول لقد كان خيراً لهذا المتعصب المأجور لاضلال عوام المسلمين على شرط أن لايذكر اسمه في كتيبه ، ولا يفضح نفسه بين قومه ، أن يختصر لمستأجريه آلهتهم وكتبهم التي صدت جميع مستقلي الفكر من أقوامهم وشعوبهم عن دينهم بل صدت بعضهم عن كل دين ، فان اختصار الدراري السبع في السماء ، أهون من اختصار آيات الفاتحة السبع في الارض . وحسب العالم من فضيحة ابراد سخافته هذه وتشهيره بها لو كان حياً يمشي بين الناس

وأما العامي الجاهل ، الذي قد يغتر بقول كل قائل ، ولا سيما اذا كان في الطعن بغير دينه ، فربما يحتاج الى التنبيه لبعض فضائح هذا الاختصار ، وان كانت لاتخفى على أولي الابصار ، ونكتفي منه بما يلي :

(١) ان أول شيء اختصره هذا الجاهل المتعصب وجعل ذكره مطعنا في فاتحة القرآن اسم الجلالة الأعظم (الله) الذي لا يغني عنه سرد جميع أسماء الله الحسنى !! فانه هو اسم الذات ، الملاحظ معه اتصاف تلك الذات بجميع صفات الكمال اجمالا

(٢) انه اختصر اسم الرحيم وقد بينا فائدته وان اسم الرحمن لايغني عنه ، وأنى لمثله أن يعلمه ؟ ويراجع الفرق بينهما فيما تقدم

(٣) انه استبدل الاكوان بالعالمين وليس في هذا اختصار ، وانما فيه استبدال الذي هو أدنى ، بالذي هو خير وأولى ، فان الاكوان جمع كون وهو في الاصل مصدر لايجمع ، وله معان لايصح اضافة اسم الرب اليها منها الحدث والصيرورة والكفالة ، ويطلقه عرب الجزيرة على الحرب لعلهم لايستعملونه في غيرها ، وأما العالمون فجمع عالم وفي اشتقاقه التذكير بكونه علامة ودليلا على وجود خالقه ، وفي جمعه جمع العقلاء تذكير القاري ، بما في كلمة الرب من معنى تربيته جل جلاله وعم نواله للاحياء ولا سيما الناس ، وكونهم يشكرونه عليها بقدر استعمال عقولهم ، ولذلك قال بعض الاعلام إن لفظ العالمين عام مستعمل هنا في الخاص وهو عالم البشر ، وراجع سائر تفسيره المتقدم

(٤) انه استبدل « كلمة » الديان بكلمة (يوم الدين) وهي لا تقوم مقامها ، ولا تفيد مافيها من المعاني المطلوبة لذاتها ، فان الديان في اللغة معاني منها القاضي والحاسب أو المحاسب والقاهر . وغاية مايفيده وصف الرب بأنه حاكم يدين عباده ويجزيهم . وأما يوم الدين فانه اسم ليوم معين موصوف في كتاب الله بأوصاف عظيمة هائلة ، يحاسب الله فيه الخلائق ويحكم بينهم ويجزيهم ، والايمان بهذا اليوم ركن من أركان الدين ، وإضافة ملك ومالك اليه تفيد أن الامر كله في ذلك اليوم له وحده فلا يملك أحد لاحد فيه شيئا من نفع ولا من كشف ضر كما تقدم تفصيله في تفسير الآية — فاستحضار هذه المعاني في النفس له من التأثير المقوي لعقيدة التوحيد المرغب في العمل الصالح المرهب الزاجر عن الشر ، ماليس لاسم الديان وحده ، ويكفي الانسان في الجزم بهذا مشاورة فكره ، ومراجعة وجدانه ، وإن لم يكن يعلم من فنون البلاغة شيئا ، وهل لهذا المبشر المتعصب فكر ووجدان ويهديه الى ما فضل من بلاغة القرآن ؟

(٥و٦) انه اختصر قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) بقوله هو : لك العبادة وبك المستعان ، وهو أقرب ما جاء به من الايجاز إذ أنه استبدل أربعا بأربع ، ولكنها أطول منها بزيادة حرف ، وتنقص عنها في المعنى فأين الايجاز ؟ انه مفقود لفظا ومعنى

اذا أراد بقوله : لك العبادة ـ أنها كلها له تعالى في الواقع ونفس الامر فالجملة غير صحيحة لان الذين لايعبدونه وحده من البشر هم الاكثرون ، ومنهم النصارى قوم الطاعن في دين التوحيد وكتاب التوحيد الأعظم (القرآن) المبدلين لآية التوحيد البليغة . وان أراد أن العبادة مستحقة لله تعالى وحده فالمعنى صحيح ولكنه لايدل على أن القارىء ولا واضع الجملة من القائمين بهذا الحق لله تعالى . وأما « إياك نعبد » فانها تفيد عرض عبادة القارىء مع عبادة جميع المؤمنين الموحدين عليه جل جلاله وتقربهم اليه بأنهم يعبدونه ولايعبدون غيره

وأحيلك في الفرق بين تأثير هذا وذاك على الوجدان الذي ذكرتك به في النقد الذي قبله . دع مافي عرض المؤمن عبادته واستعانته على ربه في ضمن عبادة جميع المؤمنين واستعانتهم من ملاحظة أخوة الايمان وتكافل أهله ، ومن هضم

الفرد لنفسه ، ورجاء القبول في ضمن الجماعة ، وغير ذلك مما يعلم من تفسير الآية

ومثل هذا يقال في مسألة الاستعانة ويمكن الزيادة عليه من جهة المعنى ومن ومن جهة اللفظ ، ومنه اختياره المصدر الميمي الذي هو صيغة اسم المفعول (المستعان) على المصدر الأصلي وهو الاستعانة المناسب للفظ العبادة ، ومن جهة ارتباطه بما بعده فان طلبنا للهداية من الاستعانة التي أسندناها الى أنفسنا .

(٧) استبداله « صراط الايمان » بالصراط المستقيم ، وهذا أعم منه وأشمل ، لأنه يشمل الايمان والاسلام والاحسان ، من العقائد والعبادات والآداب ، مع وصفه بالمستقيم الذي لا عوج فيه ، فان بعض الطرق الموصلة إلى المقاصد التي يسمى سالكها مهتديا الى مقصده في الحقة ، قد يكون فيها عوج يعوق هذا السالك ، والمستقيم هو أقرب موصل بين طرفين ، فسالكه يصل إلى مقصده في أسرع وقت ، كذلك الطرق المعنوية منها الموصل الى الغاية وغير الموصل ، ومن الموصل ما يوصل بسرعة لعدم العائق ، وما يعتري سالكه من الوعورة واقتحام العقبات واتقاء العثرات

(٨) أن وصف الصراط المستقيم بكونه الصراط الذي سلكه خيار عباد الله المفلحين ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، مذكر لقارئه بأولئك الأئمة الوارثين ، الذي يجب التأسي بهم ، والسعي للانتظام في سلكهم . والتصريح بكونه غير صراط المغضوب عليهم من المعاندين للحق ، وغير الضالين الزائغين عن القصد ، مذكر للقارىء بوجوب اجتناب سبلهم ، لئلا يتردى في هاويتهم

أين من هذه المقاصد السامية ، الهادية الى تزكية النفس وإعدادها لسعادة الدنيا والآخرة ، صيغة الصلاة في ملة هذا المختصر المتأخر ، وهي كما في انجيل متى (٦ : ٩ - ١٣) « أبانا الذي في السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين الينا ، ولا تدخلنا في تجربة ولكن نجنا من الشرير آمين اهـ زاد في نسخة الأميركان « لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد » وجعلوا هذه الزيادة بين علامتي الكلام الدخيل هكذا ( )

فمن ذا الذي زادها على كلام المسيح ؟

وقد يقول لهم من لا يؤمن بأن هذه الصيغة منقولة نقلا صحيحاً عن المسيح عليه السلام ، أو من لا يؤمن به نفسه : إنها صلاة ليس فيها من الثناء على الله تعالى ما في فاتحة المسلمين ولا بعضه ، وطلب تقديس اسم الآب وإتيان الملكوت تحصيل حاصل ، فهو لغو لا يليق بالعاقل ، وذكره بصيغة الأمر بالام غير لائق ، — إن لم نقل في انتقاده ما هو أشد من ذلك ـ وأبعد من ذلك عن اللائق والادب مع الرب تبارك وتعالى طلب كون مشيئة على الارض كما هي في السماء ، وكونها بصيغة الأمر باللام أيضاً ، فمشيئته تعالى نافذة في جميع خلقه من سمائه وأرضه بالضرورة فلا معنى لطلابها ، وطلب المساواة بين السماء والارض فيها ان أريد به من كل وجه ، فهو تحكم لا يخفى ما يترتب عليه •

وأما طلب الخبز الكفاف في كل يوم بصيغة الحصر فهو يفيد أن كل همهم وكل مطالبهم من ربهم ولو لدنياهم هو الخبز الذي يكفيهم ، فأين هذا من طلب الصراط المستقيم الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة على أكمل وجه ، ككونه نفس صراط خيار الناس [illegible] عليهم

وأما طلب المغفرة فهو على كونه لا يليق أن يطلب مثله العاقل ينتقد منه تشبيهها بمغفرة الطالب المذنب المسيء إليه من وجهين (أحدهما) أن مغفرة الله لعبده أجل وأعظم وأعم من مغفرة العبد لمثله (ثانيهما) أن الذي يغفر لجميع المسيئين إليه نادر ، ومن المشاهد أن أكثر الناس يجزون على السيئة إما بمثلها ، وإما بأكثر منها ، فكيف يكلف هؤلاء بمخاطبة ربهم بالكذب عليه الذي حاصله أنهم يطلبون أن لا يغفر لهم ، لانهم لا يغفرون للمسيئين اليهم.

قد يقولون نعم نحن نلتزم هذا لان ديننا وجب علينا أن نغفر لجميع من أذنب وأساء إلينا ونعتقد أن ربنا لا يغفر لنا إذا لم نغفر لهم لان من علماء الصلاة قال بعدها (متى ٦ : ١٤ فانه ان غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي ١٥ وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم)

فنقول هذا التعبير يدل على وجوب مغفرة جميع الذنوب لجميع الناس عامة كانت أو خاصة ، فأين منكم يامعشر النصارى من يفعل ذلك ، وهل وجد في

الالف أو الالوف منكم واحد كذلك ؟ ألسنا نرى أكثركم ومن تعدونهم أرقاكم وتفتخرون بهم كالافرنج لايغفرون لاحد أدنى زلة ، بل لايكتفون بعقاب من يسيء إلى أحد منهم إذا كان من غيرهم بمثل ذنبه وانما يضاعفون له العقاب أضعافا بل ينتقمون من أمته كلها اذا كانت ضعيفة لايمكنها أن تصدمهم بالقوة فهم لايمنعهم من الجزاء على السيئة باضعافها من السيئات ولا من ابتداء الظلم والعدوان الا العجز.

(وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة والبسملة منها)

في وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة أحاديث قولية صحيحة صريحة وجرى عليها العمل من أول الاسلام الى اليوم ، وان تنازع بعض أهل الخلاف والجدل في تسمية هذا الواجب فرضاً وعده شرطاً ، وأصح ما ورد وأصرحه فيما رواه الجماعة كلهم من حديث عبادة بن الصامت (رض) أن النبي (ص) قال « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وفي لفظ رواه الدارقطني بإسناد صحيح «لا تجزيء صلاة من لم يقرأ بفاتحة الكتاب» ومعنى [illegible] لفظ الجماعة من نفي الصلاة فيه نفي صحتها ووجهه أن الحقيقة المؤلفة من عدة أركان ذاتية تنتفي بانتفاء ركن منها كقولك لاوضوء لمن لم يغسل يديه الى المرفقين ، وقد أجمع المسلمون على العمل بهذا فلم يصل النبي (ص) ولا خلفاؤه وأصحابه ولا التابعون ولا غيرهم من الخلفاء وأئمة العلم صلاة بدون قراءة الفاتحة فيها ، وانما بحث الحنفية في تسمية قراءتها فرضاً وعدها ركناً بناء على اصطلاحات لهم ردها الجمهور بأدلة صحيحة لامحل لتلخيصها هنا ، وأجابوا عن شبهاتهم النقلية بأجوبة سديدة وأقواها قوله (ص) للمسيء صلاته « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » قالوا في الجواب عنه انه ثبت في رواية أخرى أنه قال له « ثم اقرأ بام القرآن » فهذا مفسر لما تيسر من القرآن ، وان الفاتحة هي التي كانت متيسرة لجميع المسلمين ، لأنهم كانوا يلقنونها كل من يدخل في الاسلام ، وقال بعضهم المراد بما تيسر منه هنا ما زاد عن الفاتحة وفي البخاري عن أبي قتادة أن النبي ﷺ كان يقرأ الفاتحة في كل ركعة ، والاحاديث المصرحة أنه كان يقرأ في الركعة الاولى أم القرآن وسورة كذا — وفي الثانية بعد أم القرآن كذا في صلاة كذا كثيرة

وأما كون البسملة آية من الفاتحة ، فأقوى الحجج المثبتة له كتابتها في المصحف الامام الرسمي الذي وزع نسخه الخليفة الثالث على الامصار برأي الصحابة وأجمعت عليه الامة وكذا جميع المصاحف المتواترة الى اليوم ، والخط حجة علمية كما قال العلامة العضد وعليه جميع شعوب العلم والمدنية في هذا العصر لاحجة عندهم أقوى من حجة الكتابة الرسمية ، ثم اجماع القراء على قراءتها في أول الفاتحة وان زعم بعضهم أنها آية مستقلة فان هذا رأي والعبرة بالعمل ، وهو اذا كان عاما مطردا من أقوى الحجج . على أن تواترها عن واحد منهم تقوم به الحجة على باقيهم وعلى سائر الناس فانه اثبات بالتواتر لا يعارضه نفي ما . وقد كنا ذكرنا هذه المسألة وآراء أهل الخلاف فيها ونزيدها إيضاحا فنقول :

قد وردت أحاديث آحادية في اثبات ذلك ونفيه ترتب عليها اختلاف الفقهاء الذين جعلوا المسألة مسألة مذاهب ينصر كل حزب منهم أهل المذهب الذي ينتسبون اليه (كل حزب بما لديهم فرحون) ولولا ذلك لاتفقوا لان اثبات البسملة في أول الفاتحة في جميع المصاحف المجمع عليها المتواترة حجة قطعية لا تعارض بأحاديث الآحاد وان صح سندها .

وأصرح الأحاديث التي استدلوا بها على كون البسملة ليست آية من الفاتحة ما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج » يقولها ثلاثا (أي كلمة « فهي خداج » أي ناقصة غير تامة كالناقة تلد لغير التمام) فقيل لأبي هريرة : انا نكون وراء الامام فقال اقرأ بها في نفسك فاني سمعت رسول الله (ص) يقول « قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله : حمدني عبدي . فاذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله أثنى علي عبدي . فاذا قال (مالك يوم الدين) قال : مجدني عبدي . وقال مرة : فوض الي عبدي . واذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل . فاذا قال (اهدنا

الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل »

قال النافون إن الحديث يدل على أن البسملة ليست من الفاتحة لانها لو كانت منها لذكرت في الحديث ، وهو استدلال سلبي لا يعارض القطعي المتواتر وهو اثباتها في المصحف وإجماع القراء على قراءتها معها عند البدء بالحيات ، وثبوت التواتر بذلك ، على أن عدم ذكرها في الحديث قد يكون لسبب اقتضى ذلك ومما يخطر في البال بداهة انه كما اكتفى من قسمة الصلاة بالفاتحة دون سائر التلاوة والاذكار والافعال اكتفى من الفاتحة بالاشارة كما فيه غيرها من السور اذ البسملة آية من كل سورة غير (براءة) على التحقيق الذي يدل عليه خط المصحف ، وثم سبب آخر لعدم ذكر البسملة في القسمة وهو انه ليس فيها الا الثناء على الله تعالى بوصفه بالرحمة وهو معنى مكرر في الفاتحة وذكر في القسمة . والعمدة في عدم المعارضة أن دلالة الحديث ظنية سلبية وإثبات البسملة إيجابي وقطعي كما تقدم . واذا كان من علل الحديث المعل من وصفه بالصحة مخالفة راويه لغيره من الثقات فمخالفة القطعي من القرآن المتواتر أولى بسلب وصف الصحة عنه .على أن هذا الحديث هو المعارض بالاحاديث المثبتة لكون البسملة من الفاتحة .

واستدلوا أيضاً بحديث أبي هريرة المرفوع عن أحمد وأصحاب السنن قال « ان سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي (تبارك الذي بيده الملك) » قالوا وانما هي ثلاثون بدون البسملة . وأجيب بمثل ماقلناه آنفاً من أن عدد آيات السور باعتبار ماهو خاص بالسورة وهو مادون البسملة ، ويؤيده ماروي عن أبي هريرة من أن سورة الكوثر ثلاث آيات وقد روى أحمد ومسلم والنسائي من حديث أنس قال : بينا رسول الله (ص) ذات يوم بين أظهرنا في المسجد اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله ؟ فقال نزلت علي آنفا سورة فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * انا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * ان شانئك هو الأبتر) وهذا الحديث ناطق بأن البسملة من سورة الكوثر مع عدم عدها من آياتها لما ذكرنا ، فكونها آية من الفاتحة أولى :

وهو أصح من حديث أبي هريرة في سورة الملك لأن البخاري أعله بأن عباسا الجشمي راويه لايعرف سماعه من أبي هريرة

واستدلوا بالاحاديث الواردة في عدم قراءة النبي (ص) وخلفائه لها في الصلاة وأصرحها قول عبد الله بن مغفل « صليت مع رسول الله (ص) ومع أبي بكر، ومع عمر، ومع عثمان. فلم أسمع أحداً منهم يقولها » يعني البسملة رواه أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه عن ابن عبد الله بن مغفل وهو مجهول فقد كان له سبعة أولاد وهذه علة تمنع صحة الحديث * قالوا وقد تفرد به الجريري وقيل انه قد اختلط بأخرة . وقد يفسر بما ترى فيما قالوه في الحديث الذي بعده

وفي معناه حديث أنس في احدى الروايات قال « صليت مع النبي (ص) وأبي بكر، وعمر، وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) رواه أحمد ومسلم (قال في المنتقى) وفي لفظ . صليت خلف النبي (ص) وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فكانوا لايجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم رواه أحمد والنسائي باسناده على شرط الصحيح. ولأحمد ومسلم صليت خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان وكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لايذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا آخرها . ولعبد الله بن أحمد في مسند أبيه عن شعبة عن قتادة عن أنس قال : صليت خلف رسول الله وخلف أبي بكر وعمر وعثمان فلم يكونوا يستفتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم . قال شعبة قلت لقتادة أنت سمعته من أنس ؟ قال نعم نحن سألناه عنه . وللنسائي عن منصور ابن زاذان عن أنس قال : صلى بنا رسول الله (ص) فلم يسمعنا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى بنا أبو بكر وعمر فلم نسمعها منهما اه

قال الشوكاني في شرح الحديث : ورواية « فكانوا لايجهرون » أخرجها أيضاً ابن حبان والدار قطني، والطحاوي والطبراني ، وفي لفظ لابن خزيمة « كانوا يسرون » ـ وقوله كانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ـ هذا متفق عليه . وانما انفرد مسلم بزيادة : لايذكرون بسم الله الرحمن الرحيم . وقد أعل هذا اللفظ بالاضطراب وفسر بأن جماعة من أصحاب شعبة رووه عنه به وجماعة

رووه عنه بلفظ : فلم أسمع أحداً منهم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم . ثم نقل عن الحافظ أن بعضهم رواه باللفظين ومن خرج كل رواية

أقول وقد جمعوا بين الروايات بأن المراد بالاستفتاح بالحمد لله الاستفتاح بهذه السورة فقد صح التعبير عنها في حديث آخر بجملة الحمد لله .. وبأن عدم سماعها سببه عدم الجهر بها وقد يكون له سبب آخر وهو البعد عن أول الصف ومن العادة أن يكون القارىء خافتا في أول القراءة : وسبب ثالث وهو اشتغال المأموم عن السماع بالتحرم ودعاء الافتتاح

وقد عورض وأعل حديث أنس على اضطراب متنه بما يأتي عنه من مخالفته له في صفة قراءة النبي (ص) وبما رواه الدار قطني وصححه عن أبي سلمة قال سألت أنس بن مالك : أكان رسول الله (ص) يستفتح بالحمد لله رب العالمين ، أو ببسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال انك سألتني عن شيء ما أحفظه وما سألني عنه أحد قبلك . قلت . أكان رسول الله يستفتح بالحمد لله رب العالمين ؟ قال نعم . قالوا وعروض النسيان في مثل هذا غير مستنكر [illegible] انه حضر جامعاً وحضره جماعة من الفقهاء المعتبرين في ذلك الجامع فسألهم عن حال امامهم في الجهر والاخفات — قال وكان صيتاً يملأ صوته الجامع — فاختلفوا في ذلك فقال بعضهم يجهر ، وقال بعضهم يخفت اه

أقول ولم يختلف هؤلاء المصلون في صلاة واحدة ، بل في جميع الصلوات ، وسبب ذلك الغفلة والناس عرضة لها ولا سيما الغفلة عن أول صلاة الامام اذ يكون المأمومون مشغولين بمثل مايشغله من الدخول فيها وقراءة دعاء الافتتاح كما تقدم آنفاً

وأما أحاديث اثبات كون البسملة من الفاتحة فمنها مارواه البخاري عن قتادة قال : سئل أنس كيف كانت قراءة النبي (ص) فقال كانت مداً ، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم — يمد بالرحمن ويمد بالرحيم . وروى عنه الدار قطني من طريقين أن النبي (ص) كان يجهر بالبسملة

ومنها حديث أم سلمة أم المؤمنين (رض) أنها سئلت عن قراءة رسول الله

(ص) فقالت : كان يقطع قراءته آية آية : بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * رواه أحمد وأبو داود بهذا اللفظ وغيرهما

ومنها ما رواه النسائي وغيره عن نعيم المجمر قال : صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ بأم القرآن — وفيه يقول اذا سلم : والذي نفسي بيده إني لاشبهكم صلاة برسول الله (ص) وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال على شرط البخاري ومسلم وأقره الحافظ الذهبي وقال البيهقي صحيح الاسناد وله شواهد ، وقال أبو بكر الخطيب فيه : ثابت صحيح لا يتوجه عليه تعليل ، وروي عن أبي هريرة حديثان آخران بمعناه وثق بعضهم جميع رجالهما وتكلم بعضهم في بعضهم .

ومنها حديث علي كرم الله وجهه سئل عن السبع المثاني فقال (الحمد لله رب العالمين) قيل إنما هي ست فقال بسم الله الرحمن الرحيم) رواه الدارقطني واسناده كلهم ثقات قد أجمعوا على تعديلهم ، وله حديثان آخران عنه وعن عمار ابن ياسر في إثبات جهر النبي (ص) بالبسملة في صلاته قد تكلموا في سندهما

ومنها حديث أنس سمعت رسول الله (ص) يجهر بسم الله الرحمن الرحيم رواه الحاكم وقال : ورواته عن آخرهم ثقات ، وأقره الحافظ الذهبي

وقد أورد الشوكاني في نيل الاوطار هذه الاحاديث الصحيحة وغيرها من الروايات الضعيفة الاسانيد الصحيحة المتون ، وذكر حمل الروايات الصحيحة من أحاديث النفي المعارضة لها على عدم الجهر بالبسملة من باب حمل المطلق على المقيد وهو ترك الجهر ثم قال :

« واذا كان محصل أحاديث نفي البسملة هو نفي الجهر بها ، فمتى وجدت رواية فيها اثبات الجهر قدمت على نفيه . قال الحافظ (ابن حجر) لا بمجرد تقديم رواية المثبت على النافي (أي كما هي القاعدة) لأن أنساً يبعد جداً أن يصحب النبي (ص) مدة عشر سنين ويصحب أبا بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين سنة فلا يسمع منهم الجهر بها في صلاة واحدة ، بل لكون أنس اعترف بأنه لا يحفظ هذا الحكم كأنه لبعد عهده به لم يذكر منه إلا الجزم بالافتتاح بالحمد لله جهراً فلم يستحضر

الجهر بالبسملة فيتعين الأخذ بحديث من أثبت الجهر اه . أقول وقد تقدم نص الرواية عنه بنسيان هذا الحكم آنفاً فعد حديثه مضطربا لايحتج به قال الحافظ ابن عبد البر بعد سرده روايات حديثه في الاستذكار هذا الاضطراب لاتقوم معه حجة ... وقد سئل عن ذلك أنس فقال : كبرت سني ونسيت . اه

وقد روى الطبراني في الكبير والاوسط في سبب ترك النبي (ص) للجهر بالبسملة في الصلاة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه (ص) كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وكان المشركون يهزؤن بمكاء وتصدية ويقولون محمد يذكر إله اليمامة — وكان مسيلمة الكذاب يسمى رحمن — فأنزل الله (ولا تجهر بصلاتك) فتسمع المشركين فيهزؤا بك (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم . وقد قال في مجمع الزوائد إن رجاله موثقون . وقال الحكيم الترمذي : فبقي ذلك إلى يومنا هذا على ذلك الرسم وإن زالت العلة ، وجمع به القرطبي بين الروايات

وقال ابن القيم في زاد المعاد إن النبي (ص) كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم تارة ويخفيها أكثر مما جهر بها اهـ وهذا القول معقول تما وأوضح أن سببه مارواه الطبراني واعتمده القرطبي والنيسابوري والحكيم الترمذى يكون ترك الجهر في أول الاسلام بمكة وأوائل الهجرة والجهر فيا بعده ، وقدعلمت مافى حديثي أنس وأبي قتادة المخالفين لهذا

ولا يغرّن أحداً قول العلماء ان منكر كون البسملةمن الفاتحةأو من كل سورة لايكفر ومثبتها لا يكفر فيظن ان سبب هذا عدم ثبوتها بالدليل القطعي ، كلا انها ثابتة ولكن منكرها لا يكفر لتأوله الدليل القطعي بشبهة المعارضة التى تقدمت وبينا ضعفها وسنزيده بياناوالشبهة تدرأ حد الردة

وجملة القول أن اختلاف الروايات الآحادية فى الاسرار بالبسملة والجهر بها قوي ، وأما الاختلاف فى كونها من الفاتحة أو ليست منهافضعيف جداً جداً وان قال به بعض كبار العلماء ذهولا عن رسم المصحف الامام القطعي المتواتر والقراءات المتواترة التي لا يصح أن تعارض بروايات آحادية ، أو بنظريات جدلية.

وأصحاب الجدل يجمعون بين الغث والسمين وبين الضدين والنقيضين ، وصاحب الحق منهم يشتبه بغيره ، وربما يظهر عليه المبطل بخلابته ، اذا كان ألحن بحجته

وقد ذكر الرازي في تفسيره سبع عشرة حجة على اثبات كون البسملة من الفاتحة منها القوية والضعيفة وتصدى له الآلوسي محاولا دحضها تعصباً للمذهب الذي تحله في الكبر إذ كان شافعياً فتحول حنفياً تقربا إلى الدولة وصرح بهذا التعصب إذ قال هنا «على المرء نصرة مذهبه والذّب عنه» الخ وهذه كبرى زلاته ، المثبتة لعدم استقلاله بعدم طلبه الحق لذاته . حتى إنه مارى في حجة اثبات البسملة في أوائل خط المصحف المتواتر فجعلها دليلا على كونها من القرآن دون كونها من الفاتحة ، وهو من تمحل الجدل فلا معنى لكونها آية مستقلة في القرآن ألحقت بسوره كلها إلا واحدة وليست في شيء منها ولا في فاتحته التي اقتدوا بها في بدء كتبهم كلها ، انه لقول واه تبطله عاداتهم وسيرتهم ، ويبنذه ذوقهم ، لولا فتنة الروايات والتقليد ، فتعارض الروايات اغتر به أفراد مستقلون ، وبالتقليد [illegible] كثيرون ، ولله في خلقه شؤون .

على أن الآلوسي [illegible] وجدانه واستغنى [illegible] فروع المسألة ، وأفتاه بوجوب قراءة الفاتحة والبسملة في الصلاة ، ومانع في كونها آية منها ، وأورد في حاشية تفسيره على ذلك اشكالا استكبره جد الاستكبار وما هو بكبير ، فنحن نذكر عبارته ، ونقفي عليها بالرد عليه ، قال في تفسيره روح المعاني :

« وبالجملة يكاد أن يكون اعتقاد كون البسملة جزءاً من سورة [1] من القطريات (!!) كما لا يخفى على من سلم له وجدانه (!!) فهي آية من القرآن مستقلة ولا ينبغي لمن وقف على الاحاديث أن يتوقف في قرآنيتها ، أو ينكر وجوب قراءتها ويقول بسنيتها ، فوالله لو ملئت لي الارض ذهباً لا أذهب إلى هذا القول وإن أمكنني بفضل الله توجيهه (!!) كيف وكتب الاحاديث ملأى بما يدل على خلافه .

---

(١) كذا في الاصل المطبوع في المطبعة الاميرية عن نسخته الخطية وهو تعبير ركيك كما ترى والجزء يصدق ببعض الآية كالذي في سورة النمل وهو لاخلاف فيه ولامعنى لجعله من قبيل القطريات وانما الذي يقرب منها كونها آية من كل سورة الا براءة وأقوى منه ولكن لا ينافيه كونها آية من الفاتحة

وهو الذي صح عندي عن الامام (يعني امامه الجديد أبا حنيفة رحمه الله تعالى) والقول بأنه لم ينص بشيء، ليس بشيء، وكيف لا ينص إلى آخر عمره في مثل هذا الامر الخطير الدائر عليه أمر الصلاة من صحتها أو استكمالها، ويمكن أن يناط به بعض الاحكام الشرعية وأمور الديانات كالطلاق والحلف والعتق، وهو الامام الاعظم، والمجتهد الاقدم، رضي الله عنه» ؟

وكتب في حاشيته عند قوله : فهي آية من القرآن مستقلة مانصه :

استشكل بعضهم الاثبات والنفي ، فان القرآن لايثبت بالظن ولا ينفى به، وهو اشكال كالجبل العظيم (؟) وأجيب عنه أن حكم البسملة في ذلك حكم الحروف المختلف فيها بين القراء السبعة قطعية الاثبات والنفي معاً (!!) ولهذا قرأ بعضهم باثباتها وبعضهم باسقاطها ، وإن اجتمعت المصاحف على الاثبات ، فان من القرآت ماجاء على خلاف خطها كالصراط ومسيطر فانهما قرئا بالسين ولم يكتبا إلا بالصاد (وما هو على الغيب بضنين) تقرأ بالظاء ولم تكتب إلا بالضاد ففي البسملة التخيير . وتتحتم قراءتها في الفاتحة عند الشافعي احتياطاً (!!) وخروجا من عهدة الصلاة الواجبة يقيناً لتوقف صحتها على مايسماه الشرع فاتحة الكتاب ، فافهم والله أعلم بالصواب» اه

أقول نعم ان الله أعلم بالصواب ، وقد وفق لعلمه أولي الالباب ، وهم (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) دون الذين يستمعون القول فيتبعون منه ماوافق رواية فلان ورأي فلان ، ويوجبون على أنفسهم نصره ولو بتأويل مامضت به السنة العملية وثبت بنص القرآن ، ولولا عصبية المذاهب عند المقلدين ، والغرور بظواهر بعض الروايات عند الآخرين ، لما اختلف أحد من الفريقين في هذه المسألة ونحمد الله تعالى أن اختلافهم فيها قولي جدلي لاعملي

سبحان الله ! ماأعجب صنع الله في عقول البشر ! أيقول السيد محمود الآلوسي العالم الذكي النزاع إلى استقلال الفكر في كثير من مسائل التفسير ، بالرغم من رضائه بمهانة التقليد : إن استشكال الجمع بين الاثبات والنفي القطعيين في

ـسألة البسملة « اشكال كالجبل العظيم » ؟ ثم يرضى بالجواب عنه بما يقرر به الجمع بين الاثبات والنفي القطعيين

سبحان الله ! ان الجمع بين النفي والاثبات هو التناقض الحقيقي الذي يعد ايراد مثال المحال العقلي مثله، فكيف يصدر القول به عن عالم أو عن عاقل ؟

ان الاشكال الذي نظر اليه المفسر بعيني التقليد العمياوين فرآه كالجبل العظيم هو في نفسه صغير حقير ضئيل في ءخفي كالذرة من الهباء ، أو كالجزء الذي لا يتجزأ من حيث كونه لايرى ولا يثبت إلا بطريقة الفرض ، أو كالعدم المحض

والجواب الحق انه لم ينف أحد من القراء كون البسملة من الفاتحة نفياً حقيقياً برواية متواترة عن المعصوم (ص) تصرح بأنها ليست من الفاتحة ـ كما يقول بعض الناس بشبهة عدم رواية بعض القراء لها وشبهة تعارض الروايات الآحادية التي ذكرنا أقواها والمرجح منها ـ أو ليست إلا جزء آية من سورة النمل كما زعم من لاشبهة لهم على النفي تستحق أن تذكر هنا

وإنما أثبت بعض القراء الكبار روايات متواترة أن البسملة آية من الفاتحة وبعضهم لم يرو ذلك بأسانيده المتواترة، وعدم نقل الاثبات لشيء ليس نفياً لذلك الشيء، لا رواية ولا دراية. وأهم من هذا ما قاله العلماء من أن بين عدم إثبات الشيء، و بين إثبات عدمه بوناً بعيداً كما هو معلوم بالضرورة . ولو فرضنا أن بعضهم روى التصريح بالنفي لجزمنا بأن روايته باطلة سببها أن بعض رجال سندها اشتبه عليه عدم الاثبات بإثبات النفي إذ يستحيل عقلا أن يكون الامران المتناقضان قطعيين معاً ، ورواية الاثبات لا يمكن الطعن فيها ، وناهيك وقد عززت بخط المصحف الذي هو بتواتره خطاً وتلقينا أقوى من جميع الروايات القولية وأعصى على التأويل والاحتمال ، وأما القول بأنها آية مستقلة بين كل سورتين للفصل بينها ماعدا الفصل بين سورتي الانفال وبراءة ، فما هو إلا رأي للجمع بين الروايات الآحادية الظنية المتعارضة ، ويمكن الجمع بغيره مما لا اشكال فيه ، إذ لو كانت البسملة للفصل بين السور لم توضع في أول الفاتحة ولم تحذف من أول براءة للعلة التي ذكرناها عنهم في هذا البحث فهي لا تتحقق إلا اذا كانت البسملة من السورة ، وزد على ذلك

ماأوردنامن المعاني والحكم في بدء القرآن بها ، وماصح مرفوعامن كونها هي السبع المثاني

وأما الجواب الذي نقله الآلوسي وارتضاه فلا يستغرب صدوره ولا اقراره ممن يثبت الجمع بين النقيضين المتطقين ويفتخر بأنه يمكنه توجيه مايعتقد بطلانه. على أنه جواب عن اشكال غير وارد وبعبارة أخرى ليس جوابا عن اشكال إذ لا إشكال . والخلاف بين القراء في مثل السراط والصراط ومسيطر ومصيطر ، وضنين ، وظنين ، ليس خلافا بين النفي والاثبات كمسألة البسملة بل هي قراءآت ثابتة بالتواتر ، فأما ضنين وظنين فهما قراءتان متواترتان - كالك وملك في الفاتحة - كتبت قراءة الضاد في مصحف أبيّ وهو الذي وزع في الامصار وقرأ بها الجمهور ، وقراءة الظاء في مصحف عبدالله بن مسعود وقرأبها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي. ولكل منهما معنى وليستا من قبيل تسهيل القراءة لقرب المخرج كما يأتي في بيان الفرق بين مخرجي الحرفين قريبا، وأما السراط والصراط ومسيطر ومصيطر فلا فرق بينهما الا تفخيم السين وترقيقه وبكل منهما نطق بعض العرب وثبت به النص فهو من قبيل ما صح من تحقيق الهمزة وتسهيلها ، ومن الامالة وعدمها ، فلا تنافي بين هذه القراآت فتعد اثبات احداهما نفيا لمقابلها كما هو بديهي . على ان خط المصحف أقوى الحجج فلو فرضنا تعارض هذه القراءات لكان هو المرجح ، ولكن لا تعارض ولله الحمد

نكتفي بهذا رداً لما في كلام الآلوسي وأمثاله من الخطأ فان غيره لا يعنينا في موضوعنا ولا سيا ما رجحه عن امامه وخالف فيه غيره ، وعله باطلاقهم عليه لقب الامام الاعظم ، وزيادته هو عليهم لقب المجتهد الاقدم ، مع علمه بأن علماء الصحابة والتابعين أقدم منه اجتهادا ، وان هذه الالقاب وان صح معناها لاتقتضي عدم الخطأ ولا عدم النسيان ولا اهمال بعض المسائل المهمة . ونحن يسرنا أن يصح ما ذكره ، وأن يخطيء من أنكره ، فان من المصائب أن يوجد في المسلمين عالم ينكر ما ثبت في خط المصحف المتواتر كتابة ورواية . وقد نقل الرازي ان أباحنيفة ليس له نص في المسألة « وإنما قال : يقرأ البسملة ويسر بها ، ولم يقل انها آية من أول السورة أم لا . (قال الرازي) وسئل محمد بن الحسن عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال : ما بين الدفتين كلام الله . قال (أي السائل له) فلمَ تسرّه ؟ قال فلم يجبني . وقال الكرخي : لا أعرف

هذه المسألة بعينها لمتقدمي أصحابنا الا أن أمرهم باخفائها يدل على انها ليست من السورة . وقال بعض فقهاء الحنفية : تورع أبو حنيفة وأصحابه عن الوقوع في هذه المسألة لان الخوض في ان التسمية من القرآن أو ليست منه أمر عظيم ، فالاولى السكوت عنه اه

أقول : من الخطأ البين الاستدلال بأمر بعض الفقهاء باخفاء البسملة على كونها ليست من القرآن مع الاجماع على أن ما بين دفتي المصحف قرآن منزل من الله . على ان الروايات الصحيحة في الاحاديث فيها الجهر بالبسملة والاسرار وروايات الجهر أقوى وأبعد عن التعليل والتأويل

وصفوة القول ان دلالة المصحف أقوى الدلالات ، ترجح على كل ما عارضها من الروايات، ولانها قطعية، تؤيدها الروايات التي لا نزاع في إثباتها، والاجماع العملي على قراءتها، ولا ينافيها عدم رواية بعضهم لها، فليس له قطعية في نفسها، وانما جعلوها اجتهادية باختلاف الروايات الآحادية في [illegible] [illegible] ما [illegible] والله الموفق للصواب

﴿ فائدة في الفرق بين الضاد والظاء وحكم تحريف الاول ﴾

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الاخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب مخرجيهما وذلك ان الضاد مخرجها من أول حافة اللسان وما يليها من الاضراس ، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ، ولأن كلاً من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك، والله أعلم . وأما حديث: أنا أفصح من نطق بالضاد — فلا أصل له اه

وأقول ان أكثر أهل الامصار العربية قد أرادوا الفرار من جعل الضاد ظاء كما يفعل الترك وغيرهم من الأعاجم فجعلوها أقرب الى الطاء منها الى الضاد حتى القراء المجوّدون منهم . إلا أهل العراق وأهل تونس فهم على ما نعلم أفصح أهل الامصار نطقا بالضاد ، وانا نجد اعراب الشام وما حولها ينطقون بالضاد فيحسبها السامع ظاء لشدة قربها منها وشبهها بها، وهذا هو المحفوظ عن فصحاء العرب الأولين

حتى اشتبه نقلة العربية عنهم في مفردات كثيرة قالوا انها سمعت بالحرفين وجمعها بعضهم في مصنف مستقل ، والأشبه انه قد اشتبه عليهم أداؤها منهم فلم يفرقوا والفرق ظاهر ولكنه غير بعيد

وقد قرىء قوله تعالى في سورة التكوير (وما هو على الغيب بضنين) بكل من الضاد والظاء . والضنين البخيل . والظنين المتهم ، وفائدتهما نفي كل من البخل والتهمة . والمعنى ماهو يبخل في تبليغه فيكتم ، ولا يتهم فيكذب . قال في الكشاف : وهو في مصحف عبد الله بالظاء ، وفي مصحف أبيّ بالضاد ، وكان رسول الله (ص) يقرأ بهما . واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ، ومعرفة مخرجيهما مما لابد منه للقارىء ، فان أكثر العجم لايفرقون بين الحرفين ، وان فرقوا ففرقا غير صواب . وبينهما بون بعيد ، فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان ويساره ، وكان عمر بن الخطاب (رض) أضبط يعمل بكلتا يديه ، وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه ، وهي احد الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين . وأما الظاء ، فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا ، وهي أحد الاحرف الذوقية ، أخت الذال والثاء . ولو استوى الحرفان ، لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان ، واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ، ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب اه

وأقول صدق أبو القاسم الزمخشري في تحقيقه هذا كله الا قوله ان البون بين الحرفين بعيد ، فالفرق ثابت ولكنه قريب ، وهو يحصل باخراج طرف اللسان بالظاء من بين الثنايا كأختيه الثاء والذال ولا شركة بينه وبينهما الا في هذا

﴿ التوسع في الاستنباط من معنى الفاتحة ﴾

ان ما أوردناه أولا في تفسير الفاتحة من تلخيص لما فهمناه من دروس شيخنا ومما قرأناه في الكتب ، ثم مازدناه عليه في أصله وفي هذه الفوائد الزوائد فالغرض منه التفقه في معاني القرآن والاهتداء به . وقد اقتصدنا فيه فاقتصرنا على مالا يشغل القارىء عن المقصد . وقد أطال الفخر الرازي في استطرادات عديدة، ومسائل مستنبطة من لوازم المعاني قريبة أو بعيدة ، ولكنها تشغل مريد الاهتداء بالقرآن، وأطال ابن القيم في أول كتابه (مدارج السالكين) القول في استنباط المسائل منها من طرق الدلالات الثلاثة : المطابقة والتضمن والالتزام . وأخذ في الثالثة باللزوم البين بالمعنى الأعم وبالمعنى الأخص وباللزوم غير البين أيضاً . بل سمى كتابه : مدارج السالكين ، بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) وأجمل ذلك بقوله في خطبة الكتاب أنه ينبه فيه « على بعض ما تضمنته هذه السورة من هذه المطالب ، وما تضمنته من الرد على جميع طوائف أهل البدع والضلال ، وما تضمنته من منازل السائرين ، ومقامات العارفين ، والفرق بين وسائلها وغاياتها ، ومواهبها وكسبياتها ، وبيان أنه لا يقوم غير هذه السورة مقامها ولا يسد مسدّها ، ولذلك لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في القرآن مثلها » اه

ومما ذكره في تفصيل ذلك فصول في الرد على أهل الوحدة والمجوس والقدرية والجهمية والجبرية ومنكري النبوات والقائلين بقدم العالم

والفرق بين هذه المستنبطات ومستنبطات الرازي أن أكثر تلك في المصطلحات العربية والعقلية والكلامية والفقهية ، و أكثر هذه في المقاصد الروحية التعبدية لتلك المصطلحات والعلوم، فهي تزيد قارئها ديناً وإيمانا وتقوى، ولكن لا يصح أن يسمى شيء منها تفسيراً للفاتحة، ولو كنا نعده تفسيراً لاقتبسناه أو لخصناه في هذه الفوائد

وللصوفية منازع فيها أبعد عن اللغة والنقل والعقل من كل ذلك ، جرّأت مثل الدجال ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة والوحي في هذا العصر وزعم انه المسيح الذي ينتظره أهل الملل في آخر الزمان ، جرأته على إدعاء دلالة

البسملة على دعواه الباطلة ! (وقد فندنا شبهة أمثال هؤلاء . في تفسير قوله تعالى (٦ : ٣٨ ما فرطنا في الكتاب من شيء)

وقد ذهب بعض المعاصرين مذهباً أبعد من هذا وذاك في تفسير الفاتحة وغيرها من القرآن ، فهو يرى أن تفسير لفظ العالمين (مثلا) يقتضي بيان كل ما وصل اليه علم البشر من مدلول هذا اللفظ ، وأن تفسير لفظي الرحمن والرحيم يقتضي بيان كل مايعرف من نعم الله وإحسانه بخلقه والى خلقه من كل وجه ، فاتباع هذا المذهب في تفسير الفاتحة أو آية أو كلمة منها لا يكمل إلا بكتابة ألوف من المجلدات يدون فيها كل ماوصل اليه علم جميع علماء الأرض في أعيان العالم وصفاتها وأحوالها من أدنى الحشرات الى أرقى البشر من حكماء الصديقين ، والانبياء المرسلين ، وان عد مثل هذا من التفسير [illegible] ضلال عن القرآن ، وانما يحسن في التفسير تذكير المؤمن بأن لا يغفل عن ذكر الله والتفكر في آياته ورحمته ونعمه في كل نوع من مخلوقاته ، عند النظر فيها والتفكر في آيات الله الدالة عليها

ونزع بعض الدجالين والعرافين منزعاً آخر سبقهم اليه اليهود وهو استنباط المعاني من أعداد حروف الهجاء بحساب الجمل ، قال بعضهم ان القرآن يدل على ان قيام الساعة سيكون في سنة ١٤٠٧ للهجرة وهو عدد حروف بغتة من قوله تعالى (لاتأتيكم الا بغتة) ولهؤلاء في الحروف المقطعة في أوائل السور وفي أعدادها ضلالات لانضيع الوقت بكتابتها ، فلدلالة الألفاظ على المعاني طرق في اللغة لاتخرج عنها ، وليس هذا منها

﴿ ما ينبغي تدبره واستحضاره من معاني الفاتحة وغيرها في الصلاة ﴾

إذا قمت أيها المسلم إلى الصلاة فوجه كل قلبك فيها إلى استحضار كل مايتحرك به لسانك من ذكر وتلاوة .

فاذا قلت « الله أكبر » فحسبك أن تذكر في قلبك أن الله تعالى أعظم من كل عظيم وأكبر من كل شيء ، فلا يصح أن يشغلك عن الصلاة له أو فيها شيء دونه ، وكل شيء دونه .

وإذا قرأت ماورد في ذكر الافتتاح فلا تشغل نفسك بغير معناه وهو ظاهر ، وإذا استعذت بالله تعالى قبل القراءة عملا بعموم قوله تعالى (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فتصور من معنى صيغة الاستعاذة أنك تلجأ الى الله تعالى وتعتصم به من وسوسة الشيطان الشاغلة عن الصلاة وما يجب فيها من التدبر لكتابه والخشوع والاخلاص له تعالى .

وإذا قرأت البسملة فاستحضر من معناها : إنني أصلي (باسم الله) والله الذي شرع الصلاة وأقدرني عليها (الرحمن الرحيم) ذي الرحمة العامة التي وسعت كل شيء والخاصة بمن شاء من عباده المخلصين .

وإذا قلت (الحمد لله رب العالمين) فاستحضر من معناها أن كل ثناء جميل بالحق فهو لله تعالى استحقاقا وفعلا من حيث إنه الرب خالق العالمين ومدبر جميع أمورهم . . . (الرحمن) في نفسه (الرحيم) بخلقه (مالك يوم الدين) ذي الملك والتصرف دون غيره يوم محاسبة الخلق ومجازاتهم على أعمالهم فلا يرجى غيره . وإذا قلت (إياك نعبد) فتذكر أنك تخاطب هذا الرب العظيم كفاحا بما يجب أن تكون صادقا فيه ومعناه نعبدك وحدك دون سواك بدعائك والتوجه اليك (وإياك نستعين) نطلب معونتك وحدك على عبادتك وعلى جميع شؤوننا ، بالعمل بما أعطيتنا من الأسباب ، وبالتوكل عليك وحدك عند العجز عنها (اهدنا الصراط المستقيم) دلنا وأوصلنا بتوفيقك ومعونتك إلى طريق الحق في العلم والعمل ، الذي لاعوج فيه ولازلل (صراط الذين أنعمت عليهم) بالايمان الصحيح والعمل الصالح وثمرتها وهي سعادة الدارين ، وتذكر إجمالا أولئك المنعم عليهم « من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين » وأن حظك من هذه الهداية لصراطهم انما يكون بالتأسي والاقتداء بهم في الدنيا ، ومرافقتهم في الآخرة « وحسن أولئك رفيقا » صراط الذين أنعمت عليهم فضلا وإحسانا منك (غير المغضوب عليهم) بإيثارهم الباطل على الحق ، وترجيحهم الشر على الخير ، (ولا الضالين) عن طريق الحق والخير بجهلهم « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

وأنصح لك أيها التالي للقرآن في الصلاة وفي غير الصلاة أن تقرأه على مكث وتمهل ، بخشوع وتدبر ، وأن تقف على رءوس الآيات ، وتعطي القراءة حقها من التجويد والنغمات ، مع اجتناب التكلف والتطريب ، واتقاء الاشتغال بالألفاظ عن المعاني ، فإن قراءة آية واحدة مع التدبر والخشوع ، خير لك من قراءة ختمة مع الغفلة . ومن المجربات أن تغميض العينين في الصلاة يثير الخواطر ، ولذلك كان مكروها - وإن رفع الصوت المعتدل في الصلاة الجهرية ولا سيما صلاة الليل يطرد الغفلة ، ويوقظ راقد الخشية ، وإعطاء كل أسلوب حقه من الأداء والصوت يعين على الفهم ، ويستفيض ماناس بطول الغفلة من شآبيب الدمع ، (وراجع بحث تأثير التلاوة في أول تفسير سورة الاعراف في الكلام على الحروف المفردة)



« ما يباح للرجل من محارمه ، وشراء السلعة بأكثر من ثمن المثل لأجل »

(س ١١) من صاحب الامضاء في بيروت

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الامام مفتي الانام ومرجع العلماء الاعلام الاستاذ الجليل السيد محمد افندي رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى

تحية وسلاما وبعد أرفع لفضيلتكم ما يأتي راجيا التكرم بالاجابة عليه وهو :

هل يجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن محارمه من النساء ، ومعانقتهن وضمهن وتقبيلهن ولمسهن بلا حائل أم لا ؟

وهل يجوز مشترى شوال أرز أو ثوب من القماش وغير ذلك بزيادة عن سعر يومه لأجل الأجل أم لا ؟

تفضلوا بالجواب ولسيادتكم عظيم الاجر والثواب السائل

عبد الحفيظ ابراهيم اللاذقي ببيروت

(تحريم نظر الرجل إلى محارمه أو تقبيلهن أولمسهن ومعانقتهن بشهوة)

(ج) لا يجوز الرجل أن ينظر إلى جميع بدن الرجل من أقاربه ولا غيرهم فضلا عن المرأة بل ينظر الى غير العورة ، ولكن قال بعض العلماء أن عورة المرأة من المحارم على ابنها أوأخيها أو عمها أو خالها مثلا مابين السرة والركبة فهو الذي لايجوز النظر اليه ، وقال آخرون بل عورتها بالنسبة إلى المحارم هو مايستر عادة في البيوت عند خدمتها ، وهذا أقرب . فيجوز أن ينظر المحرم من محارمه مايبدو في البيت من البدن عند لبس ثياب المهنة كالذراعين والساقين. ويشترط في هذا النظر أن يكون بدون شهوة فالنظر بالشهوة محرم مطلقاً ، ومثله معانقتهن وتقبيلهن الخ فهو مع الشهوة محرم قطعاً بل هو أشد تحريماً من مثله مع الاجنبية كما أن الزنا بالمحارم وبحليلة الجار أفظع وأشنع لأنه أشد فساداً وشذوذاً في الفطرة، وافساداً للاسرة واضاعة لحق الجوار . والسؤال ينم عن وقوع ذلك وكون السؤال عنه وإن كان وقوعه مما يتعجب منه لولا ضياع الدين واستحواذ الشهوات الحيوانية على الناس وقد وقع في مصر في هذه الايام أن حيواناً من هذه الحيوانات السافلة المخلوقة بشكل البشر اقترع بنتين له فعلقت منها واحدة والعياذ بالله تعالى

والأصل في هذا الجواب دليلان (أحدهما) ما أمر الله تعالى به في سورة النور من وجوب استئذان المملوك من ذكر وأنثى والاولاد الذين لم يبلغوا الحلم في الدخول على أهل البيت من رجل وامرأة في الأوقات التي هي مظنة ظهور العورات : قبل صلاة الفجر وعند تخفيف الثياب للاستراحة أوالقيلولة في وقت الظهيرة ومن بعد العشاء عند النوم . (ثانيهما) سد ذرائع الفساد واتقاء الفتنة ، كلاهما ظاهر لامراء فيه .

(شراء السلعة بأكثر من ثمن المثل إلى أجل)

ان هذا الشراء جائز وليس من الربا المحرم والله أعلم

الايمان والكفر والنفاق والظلم والفسق

من رسائل إمام نجد في عصره العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن
ابن الشيخ حسن ابن شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب
رحمهم الله تعالى

(ويعلم منها ما عليه علماء نجد في مسألة تكفير المخالفين واحتياطهم فيها
أكثر من سائر علماء المذاهب الاخرى)

(تابع ما نشر في الجزء الماضي)

وقد بلغني أنكم تأولتم قوله تعالى في سورة محمد (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الامر) على بعض ما يجري من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين ، والملوك المشركين ، ولم تنظروا لاول الآية وهي قوله (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة ، ولا المراد من الامر بالمعروف المذكور في قوله تعالى في هذه الآية الكريمة وفي قصة صلح الحديبية وما طلبه المشركون واشترطوه وأجابهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكفي في رد مفهومكم ودحض أباطيلكم

فصل

وهنا أصول (أحدها) أن السنة والاحاديث النبوية هي المبينة للاحكام القرآنية وما يراد من النصوص الواردة في كتاب الله في باب معرفة حدود ما أنزل الله ، كمعرفة المؤمن والكافر ، والمشرك والموحد ، والفاجر والبر ، والظالم والتقي ، وما يراد بالموالاة والتولي ونحو ذلك من

الحدود ، كما أنها المبينة لما يراد من الامر بالصلاة على الوجه المراد في عددها وأركانها وشروطها وواجباتها ، وكذلك الزكاة فانه لم يظهر المراد من الآيات الموجبة ومعرفة النصاب والاجناس التي تجب فيها من الانعام والثمار والنقود ووقت الوجوب واشتراط الحول فى بعضها ، ومقدار مايجب فى النصاب وصفته ، إلا ببيان السنة وتفسيرها . وكذلك الصوم والحج جاءت السنة ببيانها وحدودهما وشروطها ومفسداتهما ونحو ذلك مما توقف بيانه على السنة ، وكذلك أبواب الربا وجنسه ونوعه وما يجري فيه وما لايجري ، والفرق بينه وبين البيع الشرعي ، وكل هذا البيان أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية الثقات العدول عن مثلهم الى أن تنتهي السنة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن أهمل هذا وأضاعه فقد سد على نفسه باب العلم والايمان ، ومعرفة معاني التنزيل والقرآن

(الاصل الثاني) أن الايمان أصل له شعب متعددة كل شعبة منها تسمى ايمانا فأعلاها شهادة أن لا اله الا الله ، وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، فمنها مايزول الايمان بزواله اجماعا كشعبة الشهادتين ، ومنها مالا يزول بزوالها اجماعا كترك اماطة الاذى عن الطريق ، وبين هاتين الشعبتين شعب متفاوتة منها مايلحق بشعبة الشهادة ويكون اليها أقرب ومنها مايلحق بشعبة اماطة الاذى ويكون اليها أقرب . والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالف للنصوص وما كان عليه سلف الامة وأئمتها ،

وكذلك الكفر أيضا ذو أصل وشعب ، فكما أن شعب الايمان ايمان ، فشعب الكفر كفر ، والمعاصي كلها من شعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شعب الايمان ، ولا يسوى بينهما في الاسماء والاحكام ، وفرق بين

من ترك الصلاة والزكاة والصيام وأشرك بالله أو استهان بالمصحف وبين من سرق ، أو زنى ، أو شرب ، أو انتهب ، أو صدر منه نوع من موالاة (١) كما جرى لحاطب ، فمن سوى بين شعب الايمان في الاسماء والاحكام ، وسوى بين شعب الكفر في ذلك فهو مخالف للكتاب والسنة ، خارج عن سبيل سلف الامة ، داخل في عموم أهل البدع والاهواء

(الاصل الثالث) أن الايمان مركب من قول وعمل ، والقول قسمان : قول القلب وهو اعتقاده ، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الاسلام ، والعمل قسمان : عمل القلب وهو قصده واختياره ومحبته ورضاه وتصديقه وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة والحج والجهاد ونحو ذلك من الاعمال الظاهرة ، فاذا زال تصديق القلب ورضاه ومحبته لله وصدقه زال الايمان بالكلية ، واذا زال شيء من الاعمال كالصلاة والحج والجهاد مع بقاء تصديق القلب وقبوله فهذا محل خلاف هل يزول الايمان بالكلية اذا ترك أحد الاركان الاسلامية كالصلاة والحج والزكاة والصيام أو لا يكفر ؟ وهل يفرق بين الصلاة وغيرها أو لا يفرق ؟ وأهل السنة مجمعون على أنه لابد من عمل القلب الذي هو محبته ورضاه وانقياده ، والمرجئة تقول يكفي التصديق فقط ويكون به مؤمناً . والخلاف في أعمال الجوارح : هل يكفر أو لا يكفر ؟ واقع بين أهل السنة ، والمعروف عند السلف تكفير من ترك أحد المباني الاسلامية كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، والقول الثاني أنه لا يكفر إلا من جحدها ، والثالث الفرق بين الصلاة وغيرها . وهذه الاقوال معروفة . وكذلك المعاصي والذنوب التي هي فعل المحظورات

(١) ولعل الاصل موالاة المشركين أو الكفار

فرقوا فيها بين مايصادم أصل الاسلام وينافيه وما دون ذلك، وبين ماسماه الشارع كفراً ومالم يسمه، هذا ماعليه أهل الاثر المتمسكون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدلة هذا مبسوطة في أماكنها

(الاصل الرابع) ان الكفر نوعان : كفر عمل وكفر جحود وعناد وهو أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه التي أصلها توحيده وعبادته وحده لاشريك له وهذا مضاد للايمان من كل وجه، وأما كفر العمل فمنه مايضاد الايمان كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه

وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهذا كفر عمل لا كفر اعتقاد وكذلك قوله «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[1] وقوله «من أتى كاهناً فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم»[2] فهذا من الكفر العملي وليس كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه وان كان الكل يطلق عليه الكفر وقد سمى الله سبحانه من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمنا بما عمل به، وكافراً بما ترك العمل به، قال تعالى (واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) الى قوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية، فأخبر سبحانه انهم أقروا بميثاقه الذي امرهم به والتزموه وهذا يدل على تصديقهم به، واخبرانهم

(١) رواه أحمد والشيخان وغيرهما (٢) في الجامع الصغير «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» رواه أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة (وحسنه) وفيه من حديثه عند أحمد وأصحاب السنن الاربعة «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول أو أتى امرأة حائضاً أو أتى امرأة في دبرها فقد بريء مما أنزل على محمد»

عصوا امره وقتل فريق منهم فريقا آخر وأخرجوهم من ديارهم ، وهذا كفر بما اخذ عليهم ، ثم اخبر انهم يفدون من أسر من ذلك الفريق وهذا إيمان منهم بما اخذ عليهم في الكتاب. وكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق كافرين بما تركوه منه ، فالايمان العملي يضاده الكفر العملي ، والايمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي ، وفي الحديث الصحيح «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » فرق بين سبابه وقتاله وجعل احدهما فسوقا لا يكفر به والآخر كفر ومعلوم انه انما اراد الكفر العملي لا الاعتقادي وهذا الكفر لا يخرجه من الدائرة الاسلامية والملة بالكلية ، كما لم يخرج الزاني والسارق والشارب من الملة وان زال عنه اسم الايمان

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الامة بكتاب الله وبالاسلام والكفر ولوازمهما ، فلا تتلقى هذه المسائل الا عنهم ، والمتأخرون لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين فريقا أخرجوا من الملة بالكبائر وقضوا على أصحابها بالخلود في النار ، وفريقا جعلوهم مؤمنين كاملي الايمان ، فأولئك غلوا ، وهؤلاء جفوا ، وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالاسلام في الملل ،

فهاهنا كفر دون كفر ، ونفاق دون نفاق ، وشرك دون شرك ، وظلم دون ظلم ، فمن ابن عباس في قول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) قال ليس هو الكفر الذي تذهبون اليه رواه عنه سفيان وعبد الرزاق وفي رواية أخرى: كفر لا ينقل من الملة ، وعن عطاء كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق ، وهذا بين في القرآن لمن تأمله فان الله سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا وسمى الجاحد لما أنزل

الله على رسوله كافرا ، وسمى الكافر ظالما في قوله (والكافرون هم الظالمون) وسمى من يتعدى حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخلع ظالما ، وقال (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) وقال يونس عليه السلام (إني كنت من الظالمين) وقال آدم (ربنا ظلمنا أنفسنا) وقال موسى (رب اني ظلمت نفسي) وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم

وسمى الكافر فاسقا في قوله (وما يضل به الا الفاسقين) وقوله (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون) وسمى العاصي فاسقا في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وقال في الذين يرمون المحصنات (وأولئك هم الفاسقون) وقال (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) وليس الفسوق كالفسوق (١)

وكذلك الشرك شركان شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الاكبر وشرك لا ينقل عن الملة وهو الاصغر كشرك الرياء وقال تعالى في الشرك الاكبر (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وقال (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير) الآية وقال في شرك الرياء (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وفي الحديث « من حلف بغير الله فقد أشرك » (٢) ومعلوم أن حلفه بغير الله لا يخرجه عن الملة ولا يوجب له حكم الكفار ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم « الشرك في هذه الامة أخفى من دبيب النمل » (٣)

---

(١) كذا ولعل أصله : وليس الفسوق هنا كالفسوق هناك ، كما قال في الظلم قبله
(٢) رواه أحمد والترمذي والحاكم وهو حسن (٣) رواه الحكيم الترمذي

فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم إلى ماهو كفر ينقل عن الملة والى مالا ينقل عنها

وكذلك النفاق نفاقان نفاق اعتقاد ونفاق عمل ، ونفاق الاعتقاد مذكور في القرآن في غير موضع أوجب لهم تعالى به الدرك الاسفل من النار ، ونفاق العمل جاء في قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر واذا اؤتمن خان » وكقوله صلى الله عليه وسلم « آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا وعد أخلف »[(1)] قال بعض الافاضل وهذا النفاق قد يجتمع مع أصل الاسلام ولكن اذا استحكم وكمل فقد ينسلخ صاحبه عن الاسلام بالكلية وان صلى وصام وزعم أنه مسلم[(2)] فان الايمان ينهى عن هذه الخلال فاذا كملت للعبد لم يكن له ماينهاه عن شيء منها ، فهذا لايكون الا منافقا خالصا

(الاصل الخامس) أنه لايلزم من قيام شعبة من شعب الايمان بالعبد أن يسمى مؤمنا ولايلزم من قيام شعبة من شعب الكفر ان يسمى كافراً ، وان كان ماقام به كفر كما أنه لايلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أو من أجزاء الطب أو من أجزاء الفقه أن يسمى عالما أوطبيبا أوفقيها وأما الشعبة نفسها فيطلق عليها اسم الكفر كما في الحديث « ثنتان في أمتي

---

(١) الحديث الاول رواه الجماعة عن ابن عمر وقيل الا ابن ماجه وفي روايات الخصال تقديم وتاخير . والثاني رواه منهم الشيخان والترمذي والنسائي عن أبي هريرة
(٢) هذا القيد روي في بعض الفاظ الحديث

هما بهم كفر الطعن في الانساب والنياحة على الميت »[1] وحديث « من حلف بغير الله فقد كفر »[2] ولكنه لا يستحق اسم الكافر على الاطلاق ، فمن عرف هذا عرف فقه السلف وعمق علومهم وقلة تكلفهم ، قال ابن مسعود من كان متأسيا فليأتس بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم أبر هذه الامة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه فاعرفوا لهم حقهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم ،

وقد كاد الشيطان بني آدم بمكيدتين عظيمتين لا يبالي بأيهما ظفر احداهما الغلو ومجاوزة الحد والافراط ، والثانية هي الاعراض والترك والتفريط قال ابن القيم لما ذكر شيئا من مكايد الشيطان : قال بعض السلف ما أمر الله بأمر الا وللشيطان فيه نزغتان اما الى تفريط وتقصير واما الى مجاوزة وغلو ، ولا يبالي بأيهما ظفر » ، وقد اقتطع اكثر الناس الا القليل في هذين الواديين وادي التقصير ووادي المجاوزة والتعدي والقليل منهم جدا الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه . وعد رحمه الله كثيرا من هذا النوع الى أن قال : وقصر بقوم حتى قالوا ايمان أفسق الناس وأظلمهم كايمان جبريل وميكائيل فضلا عن أبي بكر وعمر ، وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الاسلام بالكبيرة الواحدة

هذا آخر ما وجد من هذه الرسالة العظيمة المنافع ، القاضية بالبراهين والدلائل القواطع ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن ابي هريرة ولفظ مسلم « اثنتان في الناس » ولا نحفظه الا هكذا (٢) رواه احمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر وتقدم بلفظ فقد أشرك

قاعدة جليله

فيما يتعلق بأحكام السفر والإقامة

لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى

﴿ تابع لما نشر في الجزء الماضي ﴾

واما حديث معاذ فمن افراد مسلم رواه من حديث مالك وزهير بن معاوية وقرة بن خالد وهذا لفظ مالك عن ابي الزبير المكي عن ابي الطفيل عامر بن واثلة ان معاذ بن جبل اخبرهم انهم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء فأخر الصلاة يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء

***

(قلت) الجمع على ثلاث درجات اما اذا كان سائراً في وقت الاولى فانما ينزل في وقت الثانية فهذا هو الجمع الذي ثبت في الصحيحين من حديث انس وابن عمر وهو نظير جمع مزدلفة ، وأما اذا كان وقت الثانية سائراً أو راكبا فجمع في وقت الاولى فهذا نظير الجمع بعرفة ، وقد روي ذلك في السنن كما سنذكره إن شاء الله ، وأما اذا كان نازلا في وقتهما جميعا نزولا مستمرا فهذا ماعلمت روي مايستدل به عليه الاحديث معاذ هذا فان ظاهره انه كان نازلا في خيمة في السفر وانه اخر الظهر ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ثم دخل الى بيته ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعا فان الدخول والخروج انما يكون في المنزل واما السائر فلا يقال دخل وخرج ، بل نزل وركب ، وتبوك هي آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم

ولم يسافر بعدها الاحجة الوداع ، وما نقل انه جمع فيها الا بعرفة ومزدلفة واما بمنى فلم ينقل احد أنه جمع هناك بل نقلوا أنه كان يقصر الصلاة هناك ، ولا نقلوا انه كان يؤخر الاولى الى آخر وقتها ، ولا يقدم الثانية الى اول وقتها وهذا دليل على انه كان يجمع احيانا في السفر واحيانا لايجمع وهو الاغلب على اسفاره انه لم يكن يجمع بينهما وهذا يبين ان الجمع ليس من سنة السفر كالقصر بل يفعل للحاجة سواء كان في السفر أو في الحضر فانه قد جمع أيضا في الحضر لئلا يحرج امته . فالمسافر اذا احتاج الى الجمع جمع سواء كان ذلك لسيره وقت الثانية اووقت الاولى وشق النزول عليه اوكان مع نزوله لحاجة أخرى مثل ان يحتاج الى النوم والاستراحة وقت الظهر ووقت العشاء فينزل وقت الظهر وهو تعبان سهران جائع محتاج الى راحة واكل ونوم فيؤخر الظهر الى وقت العصر ثم يحتاج ان يقدم العشاء مع المغرب وينام بعد ذلك ليستيقظ نصف الليل لسفره ، فهذا ونحوه يباح له الجمع

واما النازل اياما في قرية اومصر وهو في ذلك كاهل المصر فهذا وان كان يقصر لانه مسافر فلا يجمع كما أنه لايصلي على الراحلة ولا يصلي بالتيمم ولا بأكل الميتة . فهذه الامور أبيحت للحاجة ولا حاجة به الى ذلك بخلاف القصر فانه سنة صلاة السفر

والجمع في وقت الاولى كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة فمأثور في السنن مثل الحديث الذي رواه ابو داود والترمذي وغيرهما من حديث المفضل ابن فضالة عن الليث بن سعد عن هاشم بن سعد عن ابي الزبير عن أبي الطفيل عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في غزوة تبوك اذا زاغت

الشمس قبل ان يرتحل جمع بين الظهر والعصر وان ارتحل قبل ان تزيغ الشمس أخر الظهر حتى ينزل للعصر ، وفي المغرب مثل ذلك اذا غابت الشمس قبل ان يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وان ارتحل قبل ان تغيب الشمس أخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم نزل فجمع بينهما قال الترمذي حديث معاذ حديث حسن غريب (قلت) وقد رواه قتيبة عن الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن ابي الطفيل لكن انكروه على قتيبة قال البيهقي تفرد به قتيبة عن الليث وذكر عن البخاري قال قلت لقتيبة مع من كتبت عن الليث ابن سعد حديث يزيد بن أبي حبيب عن ابي الطفيل فقال كتبته مع خالد المدائني قال البخاري وكان خالد هذا يدخل الاحاديث على الشيوخ قال البيهقي وانما أنكروا من هذا رواية يزيد بن ابي حبيب عن ابي الطفيل فأما رواية ابي الزبير عن ابي الطفيل فهي محفوظة صحيحة (قلت) وهذا الجمع الذي فسره هشام بن سعد عن ابي الزبير ، والذي ذكره مالك يدخل في الجمع الذي اطلقه الثوري وغيره فمن روى عن ابي الزبير عن ابي الطفيل عن معاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء عام تبوك وهذا الجمع الاول ليس في المشهور من حديث انس لان المسافر اذا ارتحل بعد زيغ الشمس ولم ينزل وقت العصر فهذا مما لا يحتاج الى الجمع بل يصلي العصر في وقتها وقد يتصل بسيره الى الغروب فهذا يحتاج الى الجمع بمنزلة جمع عرفة لما كان الوقوف متصلا الى الغروب صلى العصر مع الظهر اذ كان الجمع بحسب الحاجة

وبهذا تتفق احاديث النبي صلى الله عليه وسلم والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يفرق بين متماثلين ، ولم ينقل احد عنه انه جمع بمنى ولا بمكة

عام الفتح ولا في حجة الوداع مع انه اقام بها بضعة عشر يوما يقصر الصلاة ، ولم يقل أحد إنه جمع في حجته الا بعرفة وبمزدلفة فعلم أنه لم يكن جمعه لقصره وقد روي الجمع في وقت الاول في العصر من حديث ابن عباس ايضا موافقة لحديث معاذ ذكره ابو داود فقال وروى هشام بن عروة عن حسين بن عبد الله عن كريب عن ابن عباس عن النبي ﷺ نحو حديث الفضل (قلت) هذا الحديث معروف عن حسين وحسين هذا ممن يعتبر بحديثه ويستشهد به ولا يعتمد عليه وحده فقد تكلم فيه علي ابن المديني والنسائي ورواه البيهقي من حديث عثمان بن عمر عن ابن جريج عن حسين عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا زالت الشمس وهو في منزله جمع بين الظهر والعصر واذا لم تزل حتى يرتحل سار حتى اذا دخل وقت العصر نزل فجمع الظهر والعصر واذا غابت الشمس وهو في منزله جمع بين المغرب والعشاء واذا لم تغب حتى يرتحل سار حتى أتت العتمة نزل فجمع بين المغرب والعشاء قال البيهقي ورواه حجاج بن محمد عن ابن جريج اخبرني حسين عن كريب وكان حسين سمعه منهما جميعا واستشهد على ذلك برواية عبد الرزاق عن ابن جريج وهي معروفة وقد رواها الدارقطني وغيره وهي من كتب عبد الرزاق قال عبد الرزاق عن ابن جريج حدثني حسين بن عبد الله ابن عبيد الله بن عباس عن عكرمة وعن كريب عن ابن عباس ان ابن عباس قال : الا اخبركم عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر؟ قلنا بلى . قال كان اذا زاغت له الشمس في منزله جمع بين الظهر والعصر قبل أن يركب، واذا لم تزغ له في منزله سار حتى اذا حانت العصر نزل

فجمع بين الظهر والعصر ، واذا حانت له المغرب في منزله جمع بينها وبين العشاء واذا لم تحن في منزله ركب حتى اذا كانت العشاء نزل فجمع بينهما قال الدارقطني ورواه عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج عن هشام ابن عروة عن حسين عن كريب فاحتمل أن يكون ابن جريج سمعه اولا من هشام بن عروة عن حسين كقول عبد المجيد عنه ثم لقي ابن جريج حسيناً فسمعه منه كقول عبد الرزاق وحجاج عن ابن جريج . قال البيهقي وروي عن محمد بن عجلان ويزيد بن الهادي وابي رويس المدني عن حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس ، وهو بما تقدم من شواهده يقوى ، وذكره البخاري تعليقاً : حدثنا ابراهيم بن طهمان عن الحسين عن يحيى بن ابي كثير عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الظهر والعصر في السفر اذا كان على ظهر سيره ، وجمع بين المغرب والعشاء . أخرجه البخاري في صحيحه فقال : وقال ابراهيم بن طهمان فذكره

(قلت) قوله على ظهر سيره قد يراد به على ظهر سيره في وقت الاولى وهذا مما لاريب ويدخل فيه مااذا كان على ظهر سيره في وقت الثانية كما جاء صريحاً عن ابن عباس . قال البيهقي : وقد روى أيوب عن ابي قلابة عن ابن عباس لا نعلمه إلا مرفوعاً بمعنى رواية الحسين وذكر مارواه اسماعيل بن اسحاق ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن ابي قلابة عن ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعاً والا فهو عن ابن عباس أنه كان اذا نزل منزلا في السفر فأعجبه المنزل أقام فيه حتى يجمع بين الظهر والعصر ، قال اسماعيل حدثنا عارم حدثنا حماد فذكره . قال عارم هكذا

حدث به حماد قال : كان اذا سافر فنزل منزلا فأعجبه المنزل أقام فيه حتى يجمع بين الظهر والعصر ، ورواه حماد بن سلمة عن أيوب من قول ابن عباس قال اسماعيل ثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن ايوب عن ابي قلابة عن ابن عباس قال : اذا كنتم سائرين فنبا بكم المنزل فسيروا حتى تصيبوا منزلا تجمعون بينهما ، وان كنتم نزولا فعجل بكم أمر فاجمعوا بينهما ثم ارتحلوا

(قلت) فحديث ابن عباس في الجمع بالمدينة صحيح من مشاهير الصحاح كما سيأتي ان شاء الله

وأما حديث جابر ففي سنن ابي داود وغيره من حديث عبد العزيز ابن محمد عن مالك عن ابي الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غابت له الشمس بمكة فجمع بينهما بسرف . قال البيهقي ورواه من حديث الحماني عن عبد العزيز ورواه الاجلح عن ابي الزبير كذلك قال ابو داود حدثنا محمد بن هشام جار أحمد بن حنبل حدثنا جعفر بن عون عن هشام ابن سعد قال بينهما عشرة أميال يعني بين مكة وسرف (قلت) عشرة أميال ثلاثة فراسخ وثلث ، والبريد أربعة فراسخ ، وهذه المسافة لاتقطع في السير الحثيث حتى يغيب الشفق ، فان الناس يسيرون من عرفة عقب المغرب ولا يصلون الى جمع إلا وقد غاب الشفق ، ومن عرفة الى مكة بريد ، وجمع دون هذه المسافة وهم لا يصلون اليها الا بعد غروب الشفق فكيف بسرف ، وهذا يوافق حديث ابن عمر وأنس وابن عباس أنه اذا كان سائرا أخر المغرب الى أن يغرب الشفق ثم يصليها جميعا

قال البيهقي والجمع بين الصلاتين بعذر السفر من الامور المشهورة المستعملة فيما بين الصحابة والتابعين مع الثابت عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، ثم عن أصحابه ، ثم ما أجمع عليه المسلمون من جمع الناس بعرفة ثم بالمزدلفة ، وذكر مارواه البخاري من حديث سعيد عن الزهري أخبرني سالم عن عبدالله بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أعجله السير في السفر يؤخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء

قال سالم وكان عبدالله بن عمر يفعل ذلك اذا أعجله السير في السفر يقيم صلاة المغرب فيصليها ثلاثا ثم يسلم ، ثم قلما يلبث حتى يقيم صلاة العشاء ويصليها ركعتين ثم يسلم ولا يسبح بينهما بركعة ولا يسبح بعد العشاء بسجدة حتى يقوم من جوف الليل

وروى مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال لسالم بن عبد الله بن عمر ما أشد مارأيت أباك عبدالله بن عمر أخر المغرب في السفر قال : غربت له الشمس بذات الجيش فصلاها بالعقيق ، قال البيهقي : ورواه الثوري عن يحيى بن سعيد وزاد فيه : ثمانية أميال

ورواه ابن جريج عن يحيي بن سعيد وزاد فيه قال (قلت) أي ساعة تلك ؟ قال : قد ذهب ثلث الليل أو ربعه . قال ورواه يزيد بن هارون عن يحيي بن سعيد عن نافع قال : فسار أميالا ثم نزل فصلى . قال يحيي : وذكر لي نافع هذا الحديث مرة أخرى فقال : سار قريبا من ربع الليل ثم نزل فصلى

وروى من مصنف سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس أنه كان يجمع بين الصلاتين في السفر ويقول هي سنة . ومن حديث علي بن عاصم أخبرني الجريري وسليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي قال : كان سعيد بن زيد وأسامة بن زيد اذا عجل بهما السير جمعا بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء

ورويناه في ذلك عن سعيد بن ابي وقاص وأنس بن مالك ، وروي عن عمر وعثمان . وذكر ماذكره مالك في الموطأ عن ابن شهاب أنه قال سألت سالم بن عبدالله هل يجمع بين الظهر والعصر في السفر ؟ فقال : نعم لا بأس بذلك ألا ترى إلى صلاة الناس بعرفة ، وذكر في كتاب يعقوب ابن سفيان ثنا عبدالملك بن ابي سلمة ثنا الداوردي عن زيد بن أسلم وربيعة ابن ابي عبدالرحمن ومحمد بن المنكدر وأبي الزناد في أمثال لهم خرجوا الى الوليد وكان أرسل اليهم يستفتيهم في شيء فكانوا يجمعون بين الظهر والعصر اذا زالت الشمس

(قلت) فهذا استدلال من السلف بجمع عرفة على نظيره وأن الحكم ليس مختصا وهو جمع تقديم للحاجة في الحضر (للحديث بقية)

القرآن والعلم الحديث

(لقمان الحكيم وبلعام بن باعورا)

جاء في القرآن الكريم عن لقمان الحكيم (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غني حميد * وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآيات من سورة لقمان

فلقمان الحكيم في نظر القرآن كان رجلا حكيما مؤمنا ، ولكن من هو لقمان الذي اشتهر عند العرب بالحكمة ، مع أنه لم يكن منهم ، ولم يرد له ذكر عند غيرهم . ومن البعيد أن يحفظ العرب ذكره ولا يكون له ذكر عند قومه . وهم أولى بحفظ ذكره من العرب

على أن علماءنا الأقدمين ليسوا على بينة من أمر لقمان . فمن قائل إنه لقمان ابن باعورا بن أخت أيوب أو ابن خالته ، ومن قائل إنه من أولاد آزر عاش ألف سنة . وأدرك داود عليه السلام . ومن قائل انه كان قاضياً في بني اسرائيل ،

ومن قائل انه كان أسود من سودان مصر ، وقد اختلفوا بعد هذا في أنه كان خياطا ، أو نجاراً ، أو راعياً . وهذا الاضطراب يدل على أنهم لايعرفون يقيناً ما لقمان ، ولا من أي قوم كان . وقد شك الألوسي المفسر في صحة هذه الروايات كلها . ولكنه لم يبين لنا أصل هذا الاسم الاعجمي الذي حفظه العرب بدون أن يعرفوا أصله ، ولم يرد فيه عند غيرهم مايوضح أمره

وقد حاول العلم الحديث أن يحل هذه المسألة فهداه البحث الى أن لقمان ابن باعورا الحكيم المؤمن ، هو بلعام بن بعور المذكور في التوراة ، والمشهور عند اليهود بأنه فيلسوف الشعب الكافر . وقد قالوا عنه إنه لايوجد في الدنيا فلاسفة مثله ، وممن ذهب الى هذا الدكتور ج درانبورج أحد أعضاء الجمعية الشرقية بمدينة باريس ، ودليله عليه أن الاسماء المشهورة الواردة في التوراة ، والتي ذكر معظمها في القرآن بالشكل الذي هو عليه في التوراة ، ينقصها اسم بلعام بن بعور ، فليس هو إلا لقمان بن باعورا ، ويؤيد هذا اتفاق اسم الأب فيهما ، وأن الفعل العربي (لقم) معناه [illegible] العبرية [illegible] على أنه يوجد [illegible] كتاب صغير لمؤلف يسمى (أوخ) مايؤخذ منه أن دلالة هذين الاسمين على شخص واحد كان معروفا قديما ، فقد جاء فيه ان بلعام هو الفيلسوف المسمى في العربية (لقنين) يعني لقمان ، وانما أوقعه في هذا التحريف بعده عن العربية ، وانه ليس من أهلها

وهذا الأمر إن صح لايحل المسألة إلا من وجهتها التاريخية ولكنها من الوجهة الدينية تبقى معقدة ، لأن لقمان في نظر القرآن حكيم مؤمن ، وفي نظر التوراة اذا كان هو بلعام فيلسوف كافر ، فقد ورد فيها أن بني اسرائيل لما ارتحلوا الى موآب ليحاربوا أهلها أجمع شيوخها وأرسلوا إلى بلعام ليلعن هذا الشعب الذي يغير على بلاده ، فقال له الرب لاتلعن هذا الشعب لانه مبارك ، ولما ألحوا عليه أذن له الرب أن يذهب معهم ، بشرط أن لايتكلم إلا بما يأمره به ، فركب حماره ، وغضب الرب لذهابه (تأمل) ، فأرسل له ملكا في الطريق ، وفي يده سيف مسلول ، فلما أبصره حماره وقف ، وكشف الله عن عينه فرأى الملك متعرضاً في طريقه ، فأراد أن يرجع ، ولكن الملك سمح له أن يذهب معهم

بشرط أن لايفعل إلا ما أمر به ، ولما وصل الى مكان يرى منه شعب اسرائيل، ظهر له الرب وأمره أن لايلعنه ، فذهبوا به الى مكان آخر لعل الرب يظهر له ويغير أمره ، فلم يأذن له في لعنهم ، فتركهم ورجع الى مكانه الذي كان فيه ، ولما استولى موسى وقومه على بلاد موآب قتلوه مع كل ذكر فيها ، وسبوا النساء والاطفال ، فغضب موسى لعدم قتلهم النساء والاطفال ، وقتل كل طفل فيها ، وكل امرأة ثيب ، فهذا ماذكرته التوراة الموجودة بأيدي اليهود عن بلعام

وقد نقلت هذه الرواية الى المسلمين مع من أسلم من أهل الكتاب ، ولكن بتغيير قليل ، فان التوراة لاتنص على انه دعا على موسى وقومه ، وأما رواية مسلمي أهل الكتاب فتنص على انه دعا عليهم ، فوقعوا بسبب دعوته في التيه ، فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه ، فقال بدعاء بلعام، فقال كما سمعت دعاءه فاسمع دعائي عليه ، فدعا أن ينزع منه الايمان ، فسلخه الله مما كان عليه

ولم يشأ علماؤنا إلا أن يصدقوا هذه الرواية التي لم ينزل بها اليهم كتاب ، ولم يأت بها اليهم رسول ، فكان بلعام عندهم غير ممثل ؟ وقد ذهبت الظنون بهم فيه أيضا حتى قال بعضهم انه كان نبيا ، وقال آخرون انه كان من أهل اليمن ، وحمل عليه ابن عباس قوله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) وقالوا انه كان يعرف اسم الله الأعظم الذي مادعا به داع إلا استجيب له ولا يخفى أن كل هذا من الاسرائيليات التي رواها لنا كعب الاحبار وغيره من مسلمي أهل الكتاب ، ولا يوثق بها عند كثير من محققي المؤرخين عندنا،فان مسلمي أهل الكتاب الذين نقلت عنهم هذه الروايات كانوا في نشأتهم بين البدو من العرب ، بعيدين عن معرفة الاخبار الصحيحة عن أهل الكتاب ، ولم يكن عندهم من العلم ما يميزون به غثها من سمينها

وأما قوله تعالى (واتل عليهم) الآية[1] فليس فيه مايدل على أن المراد به بلعام أو غيره وقد قال ابن عمر انها نزلت في أمية بن أبي الصلت ، كان على علم بكتب الله وآياتها ، وكان يعلم أن الله سيبعث رسولا من العرب ، ويرجو أن

(١) المنار: يظ في تفسيرها مايؤيد رأى الكاتب في بلعام ولا ينافيه قبله

يكون هو ، فلما بعث محمد (ص) حسده ومات كافراً ، وقيل انها نزلت في أبي عامر الراهب ، وقيل أنها مثل لكل من يعرف الهدى ويعرض عنه ، فليس في القرآن اذاً مايمنع أن يكون بلعام هو لقمان الحكيم

وأما رواية التوراة عن بلعام فلا يلزمنا أن نصدقها ، وقد نسبت الى غير بلعام من الانبياء الذين لاشك في عصمتهم - كداود وسليمان وغيرهما- أموراً لاشك في أنهم منزهون عنها ، فما ورد فيها عن بلعام لايمنعنا من أن نجاري العلم الحديث في أنه هو لقمان الحكيم ، على أن بعض علماء المسيحيين يشك في صحة قصة بلعام الواردة في التوراة للتناقض الذي فيها ، فكيف يأذن له الله على ماسبق في الذهاب مع قومه ، ثم يغضب عليه لذهابه معهم ، وكيف يقتله موسى عليه السلام مع من قتل من قومه ، مع ان التوراة لم تنص على أنه لعن بني اسرائيل كما كان يريد قومه ، بل نصت على انه لم يأذن له الرب في لعنهم ، قال لبالاق بن صفور ملك موآب : قم يابالاق واسمع فليس الله انساناً فيكذب ، ولا ابن انسان فيندم ، وهل يعد ولا يفي ؟ واعترف بأن بني اسرائيل سيملكون بلاده ، فبأي ذنب يقتل من هذا حاله ، وبأي وجه يكون هذا الرجل عند اليهود فيلسوف الشعب الكافر؟؟

واذاً ليس هناك من جهة الدين مايمنع أن يكون لقمان هو بلعام ، وانه لخير لنا أن نجاري العلم الحديث في هذا ، وأن لا نتأثر بما رواه اليهود من كفر بلعام كما تأثر به آباؤنا من قبلنا ، فحال بينهم وبين الاهتداء الى الحقيقة في أمر لقمان ، وجعلهم حيارى لايدرون من أي قوم كان . واذا لم نذهب الى ذلك فسنظل معطلين أمام العلم بالأدلة التي تقنعه بأن لقمان غير بلعام ، وبالآثار القديمة التي تكشف عن أمر هذا الحكيم الذي ورد به القرآن الكريم

ولماذا نكلف أنفسنا عناء هذا البحث والتفتيش ، ولا نقنع بما قنع به العلم الحديث ، ونحمده على هذه الخدمة التي خدم بها القرآن ، وقطعه الطريق على من تحدثه نفسه من زنادقة هذا العصر بأن رواية القرآن عن لقمان حديث خرافة ، اذ لانجد له حديثاً في التاريخ القديم ، ولا ذكراً عند الاقوام الذين نسبه اليهم علماء المسلمين؟

عبد المتعال الصعيدي
احد علماء الجامع الاحمدي

الصحة

تأليف		ترجمة
زعيم الهندوس الاكبر		الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
مهاتما غاندى		المليح آبادى

الباب الثامن

— الامومة والولادة —

كان غرضنا في الابواب الماضية بيان وحدة الاصل والعلاج لبعض الامراض الكثيرة الشيوع . وافترضنا أن الذين أصبحوا لسوء عاداتهم عرضة للامراض، أو الذين يخافون من الموت دائما ، لا يزالون يضعون أنفسهم تحت رحمة الاطباء مهما حاججناهم ومنعناهم من ذلك . ولكننا على كل حال نظن بأن هنالك على الاقل افرادا يريدون أن يزيلوا أمراضهم بطرق طبيعية محضة ، ويحفظوا أنفسهم من هجوم الامراض الجديدة . فهم بلا شك يحبون أن يتبعوا النصائح الساذجة التي بسطناها في هذا الكتاب . وقبل أن نغلقه نريد أن نشير بعض الاشارات الى الامومة وتربية الطفل ، وكذلك الى بعض الحوادث الفجائية التي يكثر وقوعها .

ان أوجاع الولادة غير معروفة لدى الحيوانات الدنيا وكذلك النساء الصحيحات صحة تامة ، وإن أكثر القرويات ليعددن الولادة شيئا عاديا صرفا فلا يزلن في اشغالهن العادية المتعبة الى آخر لحة من الحل تقريبا ، وقلما يتألمن من الوضع .

لماذا إذن تتعذب نساء المدن هذا العذاب الاليم عند الوضع ؟ ولماذا يضطررن الى التداوي الخاص قبل الولادة وبعدها ؟

الجواب ظاهر وهو أن هاته النسوة تعيش عيشة غير طبيعية ، فطعامها وعوائدها

وطرق معيشتنا كلُّ مخالفة للقوانين الطبيعية للحياة الصحية ، ثم إنها فوق هذا ومع حملها قبل ان يكمل استعدادها للحمل استعداداً تاماً ـ تكون ضحية لأسوأ عاقبها لشهوة الرجال أثناء الحمل وبعد الوضع مباشرة ، وهكذا تحمل مرة قبل أن ينقضي على خلو الرحم مدة يعتد بها ، هذا هو سبب العذاب والتعاسة التي تجد فيهامثات الالوف من بناتنا واخواتنا الآن .

ان مثل هذه الحياة في رأيي قلما تختلف عن حياة المجرمين في جهنم ؟ ومادام الرجال يعاملون النساء بهذه المعاملة الفظيعة فلا يمكن أن يكون هنالك أي رجاء لمسرة النسائنا ؛ يحمل كثير من الناس اللوم على كواهل النساء ، نحن لانناقشهم في ذلك لأنه ليست وظيفتنا هنا الموازنة في الاثم المشترك بين الرجل والمرأة في هذه المسألة ، وانما الذي يهمنا هو معرفة الشر الواقع والاشارة الى علاجه . ليعلم المتزوجون والمتزوجات جيداً أنه مادام التمتع الزوجي موجوداً قبل اوانه وأثناء الحمل وبعد الوضع مباشرة فلا يمكن أن تنجو النساء من أوجاع الولادة ، أو ترى الولادة السهلة ، بل يبقى هذا الأمر حلماً غير محقق ؟

تتحمل النساء بسكوت جميع أوجاع الولادة لانها تعترف باطلا بأنه لابد لها منها ، ولكنها لاتعلم أن جهلها وضعف إرادتها هو الذي يجعل ولادتها تتعسر وأولادها يكبرون ضعفاء غير نشطين . ان من وظائف كل رجل وامرأة السعي في إزالة هذه المصيبة بأي طريقة تتيسر . ولو أدى رجل واحد أو امرأة واحدة هذه الوظيفة تكون الدنيا قد تقدمت الى الامام الى ذلك الحد ، ومن البديهي أن هذا مالا يحتاج الانسان في القيام به ولا ينبغي أن يحتاج الى القدوة بانسان آخر

فعلى هذا أول وظيفة تجب على الزوج أن يقطع كل علاقة زوجية مع زوجته من ساعة الحمل ، ان المسئولية التي تقع على الزوجة خلال مدة الحمل لعظيمة جداً ، يجب عليها أن تعلم جيداً أن اخلاق الطفل الذي ستلده تتوقف كلها على حياتها وسيرتها أثناء هذه المدة المقدسة . فان هي ملأت مخيلتها بالحب لجميع الاشياء الطيبة العالية والتفكر فيها فالطفل كذلك ينطبع على هذه الطبيعة نفسها . وبالعكس ان وسعت المجال للغضب وغيره من الميول الفاسدة فطفلها كذلك يرث هذه الميول حتما .

فاذن يجب عليها خلال هذه الاشهر التسعة أن تشغل نفسها تماما بأعمال طلية فتطهر مخها من كل خوف وقلق وانزعاج ولا توسع المجال على نفسها لفكرة خبيثة ، أو ميل فاسد، ولا تضيع دقيقة واحدة في لغو الكلام، أو الفعل عبث فالطفل الذي يولد لمثل هذه الام لابد من أن يكون شريفاً نبيها قويا

يجب أن تبقى الحامل نظيفة الجسم مثل ما يبقى نظيفة المخ ، وان تستنشق كمية كبيرة من الهواء النقي وتقتصر على الغذاء الخفيف الجيد بقدر ماتستطيع هضمه بسهولة . فان هي قامت بجميع النصائح التي قد بثت في مسئلة الغذاء وغيره ، فلن تضطر الى الاستعانة بالاطباء ، وإن هي أصيبت بالامساك فلتزد كمية زيت الزيتون في الطعام ، وفي حالة الغثيان والقيء يجب أن تشرب عصير الليمون في الماء بدون سكر ثم عليها أن تهجر جميع البهارات والتوابل على اختلاف أنواعها

والميل الذي يتولد في الحامل الى أكل أشياء مختلفة جديدة يمكن إزالته باستحمام (كيوهن) [illegible] ويسهل أوجاع الولادة وعليها أن تقوي [illegible] في أول نشأتها : ويجب على الوالدين أن يهتما غاية الاهتمام بخير الجنين في الرحم

وكذلك يجب على الزوج أن يجتنب المشاجرة والخصام مع زوجه أثناء هذه المدة فيسير معها سيراً يسرها ويرضيها ، وعلى الزوجة أن تقلل من واجبات البيت الثقيلة ، وان تمشي في هواء طلق مدة كل يوم ، وان لاتستعمل أي دواء أثناء الحمل.

الباب التاسع

— تربية الطفل —

ليس غرضنا في هذا الباب ذكر وظائف القابلة أو المرضع بل نريد أن نبين الاحتياطات الواجب اتخاذها اذا ولد الولد : ان الذين قرأوا الابواب المتقدمة لايحتاجون الى التنبيه على عظم الضرر الذي يلحق الام بحبسها في حجرة مظلمة فاسدة الهواء وتنويمها على فراش وسخ مع نار تحت سريرها أثناء مدة

النفاس ، ان هذه العادة مهما تكن قديمة فهي محاطة بمخاطر كثيرة على كل حال.

ثم ان التدفئة في أيام الشتاء واجبة ، ولكن ذلك يتم على أحسن صورة باستعمال الاغطية الدافئة ، وان كانت الحجرة باردة جدا ولا بد من وضع النار فيها فلتوقد خارجها ، فاذا ذهب دخانها تدخل فيها . وفي هذه الحالة أيضاً لا ينبغي وضعها تحت السرير ، وكذلك تحصل التدفئة بوضع قوارير الماء الساخن على الفراش ، يجب أن تنظف جميع الملابس والاقمشة تماما بعد الولادة وقبل استعمالها ثانية

وبما أن صحة الطفل تتوقف على صحة الام فلذلك يجب الاهتمام العظيم بغذائها وطرق معيشتها فيقدم اليها الطعام من القمح مع كمية كبيرة من الثمار الجيدة كالموز وزيت الزيتون حتى تسري فيها الحرارة والقوة وتدر لبنا كثيرا

ان زيت الزيتون يوجد الخواص المسهلة في لبن الأم ، وهكذا يساعد في حفظ الطفل من الامساك وان انحرفت صحة الطفل وجب الاهتمام بحالة صحة الام ، ان معالجة الطفل بالادوية [illegible] لان الطفل [illegible] ضعيف بنيته يمرض سريعاً من تأثيراتها السامة ولذلك يجب أن تعطى الادوية للام لا للطفل ، لكي تنتقل فوائدها اليه مع لبنها وان أصيب الطفل بالسعال او الامساك لا يحصل كبيراً فلا ينبغي الخوف من ذلك بل يجب الانتظار يوما أو يومين لنعرف أساس المرض فنداويه ، ان الجزع والخوف لا يزيد الامر الا سوءا وشدة

يجب أن يغسل الطفل في الماء الفاتر دائما وتقلل ملابسه ما أمكن ، بل الاحسن ان لا يلبس بضعة أشهر ثوبا ما وينوم على قماش أبيض لين ويغطى بقماش دافىء ، ويترك حرا في حركاته ليتقوى ويتصلب ، يجب أن توضع قطعة من القماش الجيد مطوية أربع طيات على السرة وتربط فوقها عصابة

ان عملية ربط السرة بخيط وتعليقه في العنق مضرة جدا بل يجب أن تكون عصابة السرة غير مشدودة شدا محكما وان كان المكان حول السرة رطبا فينبغي أن يذر عليه ذرور (بودرة) دقيق الرز الجيد الناعم جيدا

وما دام اللبن عند الام كافيا فيجب أن يقتصر عليه الطفل وحده فان قل يجوز استعمال دقيق القمح المشوي المطحون جيدا في الماء الساخن مع قليل من

السكر فانه يأتي بنتائج حسنة وكذلك نصف علبة من دقيق الموز ممزوجاً بنصف ملعقة من زيت الزيتون نافع جداً ، وان كان لابد من اعطائه لبن البقرة فيجب أن يمزج أولا بالماء بمقدار الثلث ثم يوضع على النار حتى يغلي ثم يزاد فيه قليل من سكر القصب كذلك .

ان استعمال السكر عوضاً من سكر القصب مضر ، يجب أن يعوّد الطفل تدريجاً على أكل الغذاء من الثمار ليبقى دمه طاهرا من أول الامر ، ويكبر قوي الاستعداد للرجولية وعظائم الامور

ان الامهات اللاتي يبادرن الى اطعام أطفالهن الاشياء الثقيلة كالرز والتبأات والعدس بمجرد ظهور الاسنان بل قبل ذلك أيضاً فانهن يضررنهم ضررا بليغاً ، ولا احتياج الى القول بأن القهوة والشاي يجب منعها عنهم بتاتا

اذا كبر الطفل وأخذ في المشي فيلبس القميص وما شاكله من الملابس ، ولكن يجب أن تبقى أقدامه حافية لتكون حرة في المشي والتنقل على ارادتها

ان لبس الحذاء مع جوربه [illegible] القدم والرجل ، وان كسو الطفل الملابس الحريرية أو الاقمشة المزركشة مع الطربوش والحلل والحلي عمل همجي ، وان سعينا لزيادة الجمال الذي وهبته الطبيعة بمثل هذه الطريقة المضحكة انما يدل على غرورنا وجهلنا ، يجب علينا دائما أن نعرف ان تعليم الطفل يبتدئ بمجرد ولادته ، فيتلقى هو هذا التعليم من والديه أكثر من كل احد

ان تهديد الاطفال وتخويفهم وشحن بطونهم بالاغذية كل ذلك مغايرة على أصول التعليم الحق وكما يقول المثل القديم « ان الطفل يكون مثل والديه » فقدوة الوالدين وعملهما لابد من أن يفرغ في قالبه سير الطفل وأخلاقه : فان كانوا ضعافا فيكون أطفالهم كذلك ضعافا نحافا ، وان كانوا يتكلمون بفصاحة وبيان فكذلك يكون أطفالهم ، وان كانوا يتلعثمون ويجمجمون فأطفالهم يقلدونهم في ذلك ، وان كانوا يسبون ويشتمون أو كانوا متعودون العادات القبيحة فأطفالهم أيضاً تقلدهم وتكبر في أخلاق سيئة ، والحقيقة أنه ليس هناك عمل لا يقلد فيه الطفل والديه

فترى من ذلك كيف ان المسئولية ثقيلة عظيمة على أكتاف الوالدين !
فأول ما يجب على الانسان هو أن يعلم أولاده تعليما يجعلهم مستقيمين صادقين ، وحلية المجتمع الذي يعيشون فيه

نحن نرى في عالم الحيوان والنبات ان كل شيء ينزع إلى شبه والديه وأسلافه ولكن الانسان وحده قد خرق هذا الناموس الطبيعي ، فترى فيه وحده أن الاشرار يولدون من والدين فاضلين والضعاف من الاصحاء ، وليس هذا ذنب الاولاد بل هو ذنبنا نحن الآباء والأمهات الذين ندخل في حياة الابوة والامومة ونحن غير مستعدين تمام الاستعداد لحمل مسئولياتها العظيمة الثقيلة ، ان من الواجبات المقدسة على جميع الآباء الافاضل ان يربوا أولادهم تربية عالية ، وهذا يتطلب أن يكون الوالدان قد تعلما تعليما صحيحاً فان كانا يريان أنهما لم يتلقيا مثل هذا التعليم ويشعران بنقصهما فعليهما تسليم الاولاد الى تربية مربين صالحين ،

وان من الحق وقبح التصور أن نظن بأن الاولاد يحصلون على العلم الصحيح بمجرد ارسالهم إلى المدرسة وما دام التعليم والتربية في المدارس يخالف ما في البيت فلا يمكن أن يكون هناك رجاء لإصلاح النشء الجديد

وحيث ان التعليم الصحيح للطفل يبتدىء بمجرد ولادته مباشرة فينبغي أن يلقن مبادىء العلم أثناء اللعب . وعلى هذه الطريقة كان يمشي القدماء في تعليم أولادهم .
وأما عادة ارسال الاطفال الى المدرسة فمن بنات الامس ، واذا قام الوالدان بما يجب عليهما لأولادهما فلا يكون هناك حد لرقيهم ، ولكننا وبا للاسف لا نقوم بواجبنا ، بل الواقع اننا نتخذ أطفالنا ألعوبة لنا ، نحن نزين أجسامهم بالملابس الجميلة ونحليهم بالذهب والجوهرات ونملأ بطونهم بالحلوى ، ونفسد عاداتهم بمحبتنا الذاتية وعطفنا الكاذب من منشئهم ونتركهم يسرحون ويمرحون على أهوائهم متأثرين بعوامل الحب الكاذب

وما دمنا نحن نعيد بكل شقاء شهواتنا ونسير سيراً معوجا ونعيش في الكسل والوساخة فهل من العجب أن اتبع أولادنا خطواتنا وأصبحوا ضعفاء أشراراً أنانيين كسالى عُبَّاد الشهوة سيِّىء الاخلاق مثلنا ؟ فليتدبر جميع الآباء والامهات جيدا هذه المسائل لان عليهم وحدهم يتوقف مستقبل البلاد

باب الانتقاد على المنار

بطلان الدفاع عن جرح كعب الاحبار ووهب بن منبه

تتمة مانشر في الجزء الماضي

(الانتقاد الرابع الاحتجاج بما لايحتج به)

ادعى المنتقد الفاضل أننا احتججنا في جرح الحبرين بما لايصح الاحتجاج لعدم صحته أو لخروجه عن موضوع البحث ، قال ومنه تفسير وهب بن منبه لقوله تعالى في قصة موسى (فألقى عصاه)

سلم المنتقد أن ما نقلناه عن ابن كثير في ذلك أمر لايتصوره عاقل وطعن في صحة إسناده الى وهب عند ابن جرير والامام أحمد في الزهد وابن أبي حاتم في تفسيره . قال: إن في سند ابن جرير من هو مجهول و كتاب الزهد للامام أحمد لم يكن من كتب الحديث المعروفة فلا يبعد أن يكون في سنده انقطاع ، وابن أبي حاتم تفسيره كتفسير ابن جرير بل انه يروي في الموضع الواحد متناقضات »

(قال) « وعلى ذلك لم يوجد سند صحيح بأن هذا الخبر الغريب صدر من وهب.. ويدل على انه موضوع على وهب انه لم يروه أحد من أصحاب كتب الحديث المعتبرة مثل البخاري أو مسلم أو غيرهما من الكتب التي يصح المطلع عليها أن يقطع أو يظن انه صدر منه »

أقول (أولا) اذا سلمنا ان في سند ابن جرير مجهولا فلا نسلم ان الراوي المجهول حاله عند المؤلفين في الجرح والتعديل يقتضي أن تكون روايته موضوعة فهذا لم يقل به أحد منهم ولا من غيرهم وأعاغايته التوقف عن الاحتجاج بما يتفرد به وليس هذا منه اذ رواه غيره

و (ثانياً) إن طعنه في كتاب الزهد للامام أحمد جرأة عظيمة لاينبغي أن يقدم عليها الحريص على توثيق كعب الاحبار ووهب بن منبه لئلا يعد جرحهما طعنا في رواة الحديث ، فنحن لو طرحنا كل ماروي عنهما لم نخسر من الدين ولا من

العلم شيئاً مهماً ، وأما الامام أحمد فهو إمام الأئمة ، شيخ البخاري ومسلم وغيرهما من أساطين السنة ، أحد الأربعة الذين عرض عليهم البخاري صحيحه قبل أن يظهره للناس ليرى رأيهم فيه ، عمدة المحدثين في الجرح والتعديل ، صاحب المسند الذي كتبه ليكون اماماً يرجع اليه العلماء فيما اختلفوا فيه من السنة ، أفقه المحدثين وأزهد الزهاد وأورعهم ، فهل يصح أن نطعن في كتاب ألفه لهداية الناس لأجل توثيق وهب ابن منبه ، ويدعي الطاعن انه يوثق وهباً وكعباً لئلا يعد الطعن فيهما طعناً في السنة ؟

سبحان الله ! أيقول الشيخ عبد الرحمن الجبجوني المشتغل في جل أوقاته بالزراعة الذي يرجع عند ارادة الكتابة في مثل هذا المقام الى الكتب فيقرأ منها ما يريد أن يؤيد به رأيه الذي سنح له وقد تقدم مايدل على مبلغ فهمه لعباراتها الجلية ، أيقول ان كتاب الزهد للامام أحمد غير معروف عنده ويرتب على هذا أن يعد بعض ماروي فيه موضوعا أي كذبا وهو لم يطلع على سنده ؟ أيروي الامام أحمد الموضوعات في كتاب ألفه لهداية الناس في الدين ولا يعد ذلك شبهة على السنة وهو إمامها الأعظم ؟ ثم يعد من الشبهة عليها الطعن في مرويات كعب الأحبار ووهب بن منبه الخرافية ؟

و(ثالثاً) ان طعنه في تفسير الحافظ ابن أبي حاتم مع تشبيهه بتفسير الامام محمد بن جرير الطبري أغرب من طعنه في كتاب الزهد للامام أحمد رحمهم الله تعالى

إننا نحن نخبره بأن هذين التفسيرين هما أعظم ما كتبه أئمة الحفاظ رواة الأثر على الاطلاق . واذا كانوا قد اتفقوا على ان تفسير ابن جرير أجل التفاسير على الاطلاق وان الذي يليه هو تفسير ابن أبي حاتم كما نقله السيوطي فما ذلك إلا لما في الأول من علوم اللغة والنحو الترجيح بين الروايات واستنباط الأحكام . وأما من جهة الرواية عن الصحابة والتابعين فابن أبي حاتم أشد من ابن جرير وسائر رواة التفسير تحرياً للصحيح

قال السيوطي في سياق كلامه عن الروايات المأثورة في التفسير ورواتها بعد نقله عن الارشاد تفضيل تفسير السدي مانصه : وتفسير السدي الذي أشار اليه يورد منه ابن جرير كثيراً من طريق السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن

ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا ولم يورد ابن أبي حاتم منه شيئا لانه التزم أن يخرج أصح ماورد . والحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء ويصححه لكن من طريق مرة عن ابن مسعود الخ (راجع الاتقان)

فكيف أباح لك دينك وحرصك على الصحيح من السنة أيها المسلم أن تطعن في تفسير الحافظ ابن أبي حاتم مع تصريح أهل الحديث بأنه التزم فيه أصح ماورد ؟ وتحامى ماتساهل في روايته الامام ابن جرير والحاكم في مستدركه على الصحيحين وغيرهما من رواة التفسير المأثور . أتجعل روايات هذا الحافظ مع هذه الشهادة في حكم الموضوع لتبرئ وهب بن منبه صاحب الخرافات من رواية من رواياته غير المعقولة ، وترى مع هذا انك تنصر السنة وتدفع الشبه عنها ؟ ؟

ومن غرائب منطق هذا المنتقد أنه يجعل كلامه المفتجر قواعد وأصولا علمية دينية يبني عليها أحكاما كما فعل بطعنه في تفسير الحافظ ابن أبي حاتم الذي قال الحافظ السيوطي إنه التزم فيه إيراد أصح الروايات فقد قال بعد ماتقدم :

« ومثل ذلك بل أقل منه ثبوتا ماجعلتموه عمدتكم في الطعن على الحبرين أخيراً — وذكر مانقلناه عن الحافظ ابن كثير مما نقله هو عن تفسير الحافظ ابن أبي حاتم من زعم وهب بن منبه ان التوراة والانجيل لايزالان كما أنزلها الله تعالى لم يغير منهما حرف — ثم قال : « فهذا رواه بن أبي حاتم وحده فهو أقل ثبوتا من سابقه فلا يصح أن تجرحوا وهبا بناء على مثل هذه الرواية الساقطة »

أقول جعل هذه الرواية أقل ثبوتا مما قبلها وهي التي حكم بوضعها أي كذبها ولا نعلم ان عند المحدثين شيئا أقل ثبوتا من الموضوع ولكن عند الاستاذ الجمجوني من فنون الحديث ماليس عند المحدثين ومن قواعد العلم ماليس عند أحد من العلماء . ووجه هذه الأقلية انه افتجر — أي اختلق مالم يقل به أحد ولا يوافقه عليه أحد — من الطعن بكل مارواه ابن أبي حاتم . ولما كانت كذبة وهب في مسألة عصا موسى قد رواها عنه ابن أبي حاتم وابن جرير والامام أحمد وحكم هو بأنها موضوعة ، كان لابد أن تكون هذه الكذبة التى رواها ابن أبي حاتم وحده فيما يظهر أقل ثبوتا منها عنده !!!

﴿ الانتقاد الخامس ما احتججنا به وهو خارج عن الموضوع عنده ﴾

هـذا آخر انتقاد له علينا وخلاصته أننا احتججنا بالتوراة والأنجيل على كذب مارواه عنهما كعب الاحبار ووهب بن منبه من حيث إن مايعزوانه اليهما لايوجد فيهما شيء منه على كثرته . (قال) « فهذا فضلا عن خروجه عن الموضوع لما هو مقرر عند جميع علماء المسلمين من إن كتابي اليهود والنصارى الموجودين لايصح الاحتجاج بهما » الخ

أقول ليتأمل العلماء والعوام الملمون بالقراءة والكتابة وغـير المسلمين أيضاً هذا الفهم العجيب ، والمنطق الغريب :

يقول الاستاذ الجحموني النقادة إن قولنا فيما رواه الحبران الاسرائيلي والفارسي النسب عن التوراة والانجيل انه لم يوجد فيهما شيء منه وعدم وجوده فيهما دليل على كذبهما فيما روياه فيهما — خارج عن الموضوع ، فما موضوع طعننا فيهما اذاً ؟ انه قد اعترف أولا بأن هذا الدليل هو عمدتنا في تكذيبهما في رواياتهما عن الكتب السابقة ، ثم يقول انه خارج عن الموضوع ، وما هو إلا عين الموضوع ، وإن لم يكن عين الموضوع فما الموضوع اذاً ؟ سبحان الخلاق العظيم ماذا في خلقه من عجائب !

ثم زعم بعد هذا أنني نقضت هذا القول بقولي ان ابن كثير كان يعلم من كتب أهل الكتاب مالم يكن يعلمه رجال الجرح والتعديل الأولون الذين جعلوا كعباً ووهباً من الثقات في الرواية ولذلك انتقد بعض ماروي عنهما ولم يأخذه بالتسليم . فأي نقض هذا ؟؟

وقد ذكرت أيضاً أن ابن حزم وابن تيمية من علماء القرون الوسطى قد اطلعوا على كتب أهل الكتاب التي لم يطلع عليها المتقدمون الذين وثقوا الرجلين كابن حبان وغيره . قال المنتقد ولكن لم يرد عن أحد من هؤلاء ولا من غيرهم انه طعنوا فيهما . وهذا قول يقال ليس خارجا عن العقل والفهم كالأقوال السابقة — ويقال في الرد عليه (أولا) إن هذا النفي العام يحتاج الى دليل ولا دليل عليه

فعدم علمه بالطعن لايدل على عدمه كما أنه لايدل على وجوده

(ثانياً) إن من ذكرناهم لايبحثون في جرح راو إلا اذا عرض لهم بحث في تمحيص رواياته غير الثابتة عندهم ، فمن سكت عن جرح الرجلين يمكن أن يقال انه لم يتفق له ذلك . فان ابن حزم وابن تيمية لما تصديا للرد على أهل الكتاب ونظرا في كتبهم لأجل ذلك لم يخطر في بالهما مراجعة ماروي عن هذه الكتب والرد عليه لانه ليس من موضوعهما بل ربما يعد حجة عليهما من حيث إن بعض كبار الرواة الموثقين قد شهدوا لهذه الكتب

(ثالثا) إننا نرى الحافظ ابن كثير يستنكر بعض الروايات عن كعب ووهب من غير طعن في سندها لعلمه بصحته وهذا يتضمن تكذيبهما وان لم يصرح به إذ موضوعه نقد المروي لأنه باطل لا الطعن في الرواة

خلاصة الرد على الانتقاد

إننا لم ننكر [illegible] جمهور رجال الجرح والتعديل عدوا كعبا ووهبا من الثقات في الرواية ، ولم يقبلوا طعن ابن العلاء منهم في وهب لأنهم نقلوا عنه ما يدل على رجوعه عما رماه به من البدعة ، وان منهم من تأول تكذيب معاوية لكعب بأنه يعني به وقوع الكذب في رواياته لكذب من أخذ عنهم لا لكذبه هو أو بغير ذلك حتى قال بعضهم ماترده العبارة العربية ولاتحتمله ولو تكلفا

وإننا مع هذا نقول انه ظهر لنا مالم يظهر لأولئك الموثقين لهما وهو اننا رأينا الشيء الكثير من رواياتهما مما نقطع بكذبه كمخالفة مارواه عنهما الثقات مما كانا يعزوانه للتوراة وغيرها من كتب الانبياء لما عند أهل الكتاب فجزمنا بكذبهما. وهذا مما لم يكن يعلمه المتقدمون لأنهم لم يطلعوا على كتب أهل الكتاب

واننا بهذا الطعن في روايتهما ندفع شبهات كثيرة عن كتب الاسلام ولا سيا تفسير كتاب الله تعالى بالمأثور عن السلف وقد حشي خرافات كثيرة يأخذها القارئون للتفسير وقصص الأنبياء بالتسليم

واننا اذا سلمنا للمنتقد أن كل من وثقه جمهور المتقدمين فهو ثقة – وان ظهر خلاف ذلك بالدليل – نفتح بابا آخر للطعن في أنفسنا بنبذ الدليل ، والأخذ في

مقدماته بالتقليد ، ومخالفة هداية القرآن المجيد ، نعم اننا نعترف بأن نقد رواة السنة والآثار من حيث جودة الحفظ والضبط وعدم الشذوذ ونحوه من العلل قد محصه رجال الجرح والتعديل ووفوه حقه الى درجة تقرب من الكمال ولم يبقوا لمن بعدهم فيه الا اجتهاداً قليلا جله فيما اختلفوا فيه

وأما تمحيص متون الروايات وموافقتها أو مخالفتها للحق الواقع وللاصول أو الفروع الدينية القطعية أو الراجحة وغيرها فليس من صناعتهم ويقل الباحثون فيه منهم ، ومن تعرض له منهم كالامام احمد والبخاري لم يوفه حقه كما نراه فيما يورده الحافظ ابن حجر في التعارض بين الروايات الصحيحة له ولغيره . ومنه ماكان يتعذر عليهم العلم بموافقته أو مخالفته للواقع كظاهر حديث أبي ذر عند الشيخين وغيرهما أين تكون الشمس بعد غروبها فقد كان المتبادر منه للمتقدمين أن الشمس تغيب عن الارض كلها وينقطع نورها عنها مدة الليل إذ تكون تحت العرش تنتظر الاذن لها بالطلوع ثانية ، وقد صار من المعلوم القطعي لمئات الملايين من البشر أن الشمس لا تغيب عن الارض في أثناء الليل ، وانما تغيب عن بعض الاقطار وتطلع على غيرها ، فنهارنا ليل عند غيرنا ، وليلنا نهار عندهم كما هو المتبادر من قوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) وقوله جلت قدرته (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً) فنحن بعد العلم القطعي الثابت بالحس في مثل هذه المسألة وما في حكمها لامندوحة لنا عن أحد أمرين : إما الطعن في سند الحديث وإن صححوه لأن رواية ما يخالف القطعي من علامات الوضع عند المحدثين أنفسهم ، وأقرب تصوير للطعن فيما اشتهر رواته بالصدق والضبط أن يكون الصحابي أو التابعي منهم سمعه من مثل كعب الاحبار . ونحن نعلم ان أبا هريرة روى عن كعب وكان يصدقه ونرى الكثير من أحاديثه عنعنة لم يصرح (رض) بسماعها من النبي ﷺ ومن القطعي انه لم يسمع الكثير منها من لسانه ﷺ لتأخر اسلامه فمن القريب أن يكون سمع بعضها من كعب الاحبار ومرسل الصحابي انما يكون حجة اذا سمعه من صحابي مثله . ومثل هذا يقال في ابن عباس وغيره ممن روى عن كعب وكان يصدقه ، وإما تأويل الحديث بأنه

مروي بالمعنى ، وأن بعض رواته لم يفهم المراد منه فعبر عما فهمه كعدم فهم راوي هذا الحديث الذي ذكرنا على سبيل التمثيل المراد من قوله «ص» أن الشمس تكون ساجدة تحت العرش الخ فعبر عنه بما يدل على أنها تغيب عن الارض كلها ، وقد يكون المراد من معنى سجودها أنه من قبيل قوله تعالى «والنجم والشجر يسجدان» كما أن توقف طلوعها على اذن الله تعالى «والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه» وهو اذن التكوين لا التكليف ، وذلك أننا نؤمن بحق أن العالم كله بيد الله تعالى وتصرفه وقد اول الحديث بعض شراح الصحيحين ليوافق رأي المتقدمين من علماء الفلك فكان تأويلهم مشكلا يرده ظاهر الحديث ولاسيما رواية مسلم المطولة

ومن هذا القبيل حكاية بعض الرواة ككعب ووهب عن كتب بني اسرائيل لم يكن يحيى بن معين واحمد وأبو حاتم وابنه وأمثالهم يعرفون مايصح من ذلك ومالا يصح لعدم اطلاعهم على تلك الكتب وعدم ظهور دليل على كذب الرواة المتقنين للكذب فيما يعزونه اليها ، فاذا ظهر لبعض من في العصر أو فيما قبله أو فيما بعده مالم يظهر لهم من كذب اثنين أو أكثر من هؤلاء الرواة فهل يكابر حسه ويكذب نفسه ويصدقهم بلسانه كذبا ونفاقا ، أو يكتم الحق عن المسلمين لئلا يكون مخالفا لمن قبله فيما ظهر له ولم يظهر لهم ؟ ألم ير المتقد الغيور على السنة ان الملاحدة الذين يتقي طعنهم في السنة بتعديل كعب ووهب يشككون المسلمين في الاصول والمسائل القطعية حتى في نصوص القرآن ؟

ثم اننا نعيد القول ونؤكده بأن ظهور كذب كعب ووهب لنا لايترتب عليه خسراننا لشيء من أصول ديننا ولا من فروعه ، فالعمدة في الدين هو القرآن وسنن الرسول المتواترة وهي السنن العملية كصفة الصلاة والمناسك مثلا وبعض الاحاديث القولية التي أخذ بها جمهور السلف . وما عدا هذا من أحاديث الآحاد التي هي غير قطعية الرواية أو غير قطعية الدلالة فهي محل اجتهاد واننا نرى بعض الأئمة المجتهدين قد تركوا الاخذ بكثير من الاحاديث الصحيحة الصريحة حتى مارواه الشيخان منها ، ولا يزال يتبعهم الملايين من الناس في تركها ولا يعدهم سائر المسلمين ضالين عن دينهم . وقد أورد المحقق ابن القيم أكثر من

مائة شاهد من هذه الاحاديث الصحيحة التي خالفها الحنفية وغيرهم وهم أكثر مسلمي هذا العصر .

فماذا تكون قيمة روايات هذا الاسرائيلي (كعب الاحبار) وهذا الفارسي (وهب بن منبه)وأكثرها خرافات اسرائيلية شوهت كتب تفسير كتاب الله وغيرها من الكتب وكانت شبهاً على الاسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة بانه كغيره دين خرافات وأوهام ، وما كان منها غير خرافة فقد تكون الشبهة فيه أكبر كالذي ذكره كعب من صفة النبي (ص) في التوراة واعترف للمنتقد بصحته عنه ، وقد أعدنا ذكره في هذا الرد

وه المنتقد برواية البخاري لقول أبي هريرة ان عبد الله بن عمرو بن العاص كان أكثر حديثا عن النبي (ص) منه لأنه كان يكتب ، قال وأنا لا أكتب — إذ رواه من طريق وهب عن أخيه همام ، ونقول أولا إن البخاري قال عقب روايته له عنه « تابعه معمر عن همام » يعني أن وهبا لم ينفرد بهذه الرواية عن همام بل رواها عنه معمر أيضا . ولو أن وهبا لم يروها ما كنا جهلناها ، ولو جهلناها لم يكن جهلها خسارة لشيء من أصول ديننا ولا فروعه ، فقول أبي هريرة ليس حجة شرعية وهو لا يدل على أن ابن عمرو كان يكتب بأمر النبي ﷺ ولا باقراره فيصلح معارضا لحديث نهيه «ص» عن كتابة شيء عنه غير القرآن وان سماه المنتقد « حديثا صحيحاً نافعاً » ثم قال : 5 أن البخاري احتج بوهب في أول كتاب الجنائز من صحيحه حيث قال :وقيل لوهب بن منبه أليس مفتاح الجنة لا إله الا الله ؟ قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان فان جئت بمفتاح له أسنان فتح لك والا لم يفتح لك » اه

أقول (أولا) إن هذا تعليق لا رواية مسندة وانما رجال الصحيح من روى عنهم المسند (وثانياً) انه أورده بصيغة التمريض « قيل » قال الحافظ ابن حجر بعد الكلام على صيغة الجزم في الروايات المعلقة في صحيح البخاري مانصه : والصيغة الثانية وهي صيغة التمريض لا يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه لكن فيه ماهو صحيح وفيه ماليس بصحيح الخ (وثالثاً) ان هذا القول لوهب قد انتقد

عليه وخطيء به ، ولذلك قالوا لما رووا هذه العبارة مرفوعة من حديث معاذ : يحتمل أن تكون مدرجة فيه ، ولم يقولوا إن وهباً هو الذي سمعها . وليس هذا المقام محلا لبسط هذا وأمثاله ، حتى إنني لم أجعله من الانتقادات علينا ، وإن كان المنتقد قد حاول به أن يجعل وهباً من رواة أحاديث صحيح البخاري كما حاول أن يجعل كعباً من رجاله . والحق ان البخاري قدس الله سره لم يرو عن كعب شيئاً ولم يرو عن وهب حديثاً مسنداً إلى رسول الله (ص) وانما روى عنه عبارة وعلق عنه أخرى كما علمت آنفا

كلمة بيني وبين المنتقد

قد أطال صديقنا الاستاذ الجحموني في انتقاده هذا فاضطرنا إلى الاطالة في بيان اخطائه مع تحري الاختصار حتى لا يعود إلى مثل هذا الكلام الطويل المتهافت على أنه اذا عاد لا ننشر له مثله ولا سيما في هذا الموضوع[1] وانما نشرنا هذا تكريماً له وتحسيناً للظن به على اعتقادنا أنه حسب أن ما جاء به حجج قيمة وبراهين لا ترد وأنه أراد باعادة [illegible] منشوراً في المنار ، وأكثر القول في الجرح والتعديل على جهة عامة ، وفي توثيق الحبرين مما نعرفه ولا ننكره ولا أنكرناه من قبل — أراد بهذا كله اظهار جهلنا — واننا لو لم ننشره لظن أننا لاصرارنا على خطئنا قد امتنعنا عن اظهار هذه الحقائق لقراء مجلتنا

لقد كان يكفي في هذا الانتقاد ورقة أو ورقتان يذكر فيهما المنتقد أن جمهور رجال الجرح والتعديل قد وثقوا الحبرين وأن بعض شراح الحديث أولوا عبارة معاوية في اختبار الكذب على كعب ، وأن الروايات الخرافية عنهما يحتمل أن تكون أسانيدها اليهما غير صحيحة وما في معنى هذا

ولو اختصر لاختصرنا في الرد بأن جرحنا لهما انما كان في شيء لم يكن يعرفه رجال الجرح والتعديل المتقدمون وهو وجيه يتعين قبوله لا يشكك أحداً في جمهور رواة الصحاح ولا من دونهم — وأن الروايات المعروفة صحتها عنهما كافية في اثبات كذبهما وعدم صحة تأويل من أول لكعب بأن الكذب من غيره ، لما

(١) قد جاءنا انتقاد آخر مفيد سننشره في الجزء التالي ان شاء الله

هو معلوم بالبداهة من أن كعبا كان من كبار أحبارهم ولن يكون كذلك من لم يطلع على التوراة وكتب الانبياء بنفسه. وأن عدم الثقة بها ستردعن كتبنا شبهات كثيرة ولا تخسر به شيئاً من علومها لغنانا بغيرها عنها

بعد هذا كله أقول اذا ثبت بما حررناه كذب الرجلين بما ذكر فلا يبقى مجال للشك في أنهما كانا يغشان المسلمين ويدخلان في كتبهم الدينية ورواياتهم ما يقتضي الطعن في دينهم وحينئذ لا يبقى محل لاستغراب اشتراكهما في تلك الجمعيات اليهودية والمجوسية التي كانت تكيد الاسلام والعرب .

هذا واني أستغفر الله تعالى لي ولأخي المنتقد ، وقد وضح للقراء ما عندي وما عنده في المسألة وعلم الحكم في ذلك ، والله يحكم بين عباده فيما هم فيه يختلفون

الدعوة الى الالحاد بالتشكيك في الدين

كتاب (في الشعر الجاهلي)

ظهر بمصر في أواخر السنة الماضية كتاب بهذا الاسم من وضع الدكتور طه حسين مدرس الآداب في (الجامعة المصرية) وأحد أركان جمعية دعاية الالحاد بمصر ، بنى بحثه فيه على منهج للبحث في الآداب وغيرها غريب هو أن يبنى على الشك في كل ما روي عن المتقدمين أو تكذيبه وان أجمعوا عليه، وعلى التجرد من الدين والجنسية والوطنية، وجميع الروابط القومية والملية . وهو بناء على هذه القاعدة يطعن فيما ثبت بنص القرآن المجيد وفي جميع ما صح عند علماء الملة الاسلامية من الروايات الدينية والتاريخية والأدبية ، دع ما ليس له أسانيد تصل الى درجة الصحة كتواريخ سائر الأمم ومروياتها . حتى انه تجرأ على التصريح بتكذيب القرآن المجيد فيما أثبته من بناء ابراهيم واسماعيل لبيت الله الحرام بمكة المكرمة، وشكك في آيات أخرى وفي أحاديث وروايات كثيرة من صدقه فيها من تلاميذ الجامعة أو غيرهم من الدهماء ينبذ الدين وراء ظهره ويمشي عاريا مجرداً من الوازع النفسي الذي

ينهى عن الفواحش والمنكرات ، فيستحل جميع ماقدر عليه من أموال الناس وأعراضهم اذا عنت له وأمن العقاب عليها في الدنيا . وحينئذ يكون كالدكتور طه حسين في فلسفته وأحكامه التي كان منها عد أفسق الفساق في التاريخ كأبي نواس من كبار المصلحين، ونشر أخبار فسقه في صحيفة السياسة وفيه مافيه من ترغيب الناس فيها

إن قاعدة الدكتور طه حسين التي جرى عليها في كتابه هذا وفي غيره هي ان الفلسفة العليا التي يتوقف عليها وصول الانسان الى العلم الصحيح في الآداب والتاريخ وغير ذلك هي أن يكذب الله ورسله وأفضل البشر بعد الرسل كالخلفاء الراشدين وأئمة العلم والدين ، أو يشكك في أقوالهم على الاقل ، ويأخذ بالقبول والتسليم مافيه طعن في الاسلام، وفي سلفه الصالح وكبار أئمته وان لم يقله الا بعض فساق المسلمين ومن لاثقة بصدقه منهم ومن [illegible] ماذا؟

ثم يستبدل بها نظريات بل ضلالات اخترعتها مخيلات ملاحدة الافرنج وكذا دعاة النصرانية الذين [illegible] الطعن [illegible] وجعل مدار معيشتهم من جمعياتهم الدينية على تشكيك المسلمين في دينهم إن لم يقدروا على تحويلهم عنه وجعلهم أعداء له . ويزين ذلك بخلابة اللفظ وشقشقة اللسان والقلم ، وسفسطة الجدل ، ولماذا ؟

لأجل أن تنحل روابطهم الملية ، وتزول عقيدتهم الدينية ، وتفسد ملكاتهم الأدبية ، فيقبلوا بارتياح أن يكونوا تابعين لدول الاستعمار الأجنبية ، فان لم تكن هذه اللام لام العلة والغاية ، فلا بد أن تكون لام الصيرورة والعاقبة

إن موضوعات هذا الكتاب هي من دروس الدكتور طه الأدبية التي يلقيها على تلاميذ الجامعة المصرية لأجل أن ينسلخوا من الاسلام الذي صار قديما رثا باليًا في نظره !! ويصيروا أمة جديدة لا يدينون بدين ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ، ولا يأبون الخنوع لكل حاكم وان كان أجنبيا

وكذلك فعل صديقه وأحد أركان جمعيته الشيخ علي عبد الرازق في كتابه « الاسلام وأصول الحكم » فأرضيا بذلك دول الاستعمار ودعاة النصرانية فأثنيا على هذا أجل الثناء كما أثنيا على ذاك . وكانا عندهم محل الرجاء

ظهر هذا الكتاب وأنا في مكة المكرمة فرأيت في الجرائد خبره وقيام رجال

العلم والدين بالرد عليه والطعن فيه ومطالبة الحكومة بمصادرته ومنع قراءته ورأيت فيه ان الحكومة (عاقبته) بشراء نسخ جميع الكتاب منه دفعة واحدة بدلا من أن يبيعها هو في عدة سنين - وحفظها لدى وزارة المعارف - ولا تدري لماذا ؟

ولما رجعت الى مصر لم يتح لي الحصول على نسخة منه وانما اطلعت أمس على نسخة منه استعرتها ساعة واحدة أو أقل من ساعة فتصفحت فيها أهم صحائفه

ورأيت قبل هذا في الجرائد اضطرابا في مجلس النواب إذ طلب بعض أعضائه عقاب هذا المعتدي على دين الحكومة الرسمي وهو من عمالها واخراجه من المدرسة الجامعة حرصا على عقائد طلبتها وآدابهم ، وكاد هذا الاضطراب يؤول الى استقالة الوزارة العدلية لأن صاحب الدولة رئيسها ووزير الداخلية فيها رأى انه لا حق لمجلس النواب في مطالبتها بما طالبها فطفق يرد على بعض النواب ، وانبرى صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد باشا زغلول رئيس المجلس لمناقشته والدفاع عن حقوق المجلس حتى اعتقد الحاضرون ان الجلسة لا تنتهي إلا باستقالة الوزارة ، ولما كان ائتلاف هذه الوزارة مع المجلس هو مطمح الرجاء لاتحاد الأمة المصرية بعد طول الشقاق اقترح بعض الأعضاء تأجيل الفصل في هذه المسألة الى الجلسة التالية لتلك الجلسة ، وذهب في تلك الليلة كل من صاحبي الدولة رئيس الوزارة ورئيس مجلس الشيوخ حسين رشدي باشا الى بيت الأمة فسمرا مع دولة سعد باشا سمراً طويلا انتهى بالاتفاق على قبول ماصرحت به الحكومة في مسألة الدكتور طه حسين وهو انها تعمل مايجب عليها وأن يطلب بعض النواب من النيابة العامة إقامة الدعوى على الدكتور طه حسين — وهكذا كان

طلب بعض النواب محاكمة الدكتور طه حسين فطلبته النيابة العامة للتحقيق معه ، وعين جماعة من كبار علماء الجامع الازهر لمناقشته ومناقشة وكلائه في القضية، وقد ظهر من ضعف هؤلاء العلماء في المناقشة ما كان مدعاة الامتعاض والأسى من أهل الدين والتقوى ، وقال بعض الملاحدة ان علماء الازهر أرادوا أن يثبتوا كفر الدكتور طه حسين فأثبت هو كفرهم !!

ليست هذه القضية قضية فرد اسمه طه حسين يشك ويشكك في الدين فقط

- بل هي أعظم من ذلك - ولا هي قضية أستاذ في مدرسة الجامعة المصرية أعطي حقاً رسمياً في إفساد عقائد الطلبة في المدرسة الجامعة الرسمية وتجريدهم من دينهم — وإن هذا لعظيم جداً جداً جداً — ولكن وراءه ماهو أعظم منه وهو الذي يفقهه أهل الفقه في مصر وفي أوربة وسائر العالم وبه كانت القضية أعظم وأكبر شأنا من قضية فرد اشتهر بعدم التدين وبالصد عن الدين ، وأعظم وأكبر شأنا من كونها قضية أستاذ في الجامعة المصرية أعطى حقاً رسمياً من الحكومة يبث رأيه على زيغه — أي بإفساد عقائد الطلبة

بماذا كانت هذه القضية أعظم من هذا الامر الذي اعترفنا بأنه عظيم جداً جداً جداً ؟

يذكر قراء المنار أننا كتبنا في إحدى المقالات التي استنكرنا فيها جريمة كتاب الشيخ علي عبد الرازق أن أحد أذكياء الاسرائيليين في مصر صرح في محفل أدبي بأن قضيته هي قضية التنازع بين مدرسة الجامعة الأزهرية الدينية ومدرسة الجامعة المصرية اللادينية ، أو التنازع بين الدين والالحاد في البلاد المصرية، ولعلهم يذكرون أيضاً أن الشيخ علي عبد الرازق هدد خصومه في بعض المقالات التي نشرها في جريدة السياسة وأنذرهم الخيبة والفشل في مقاومته ومحاكمة الازهر له ، ثم ظهر أن وزير الحقانية ورئيس الحزب الحر الدستوري يعارض في محاكمة هيئة كبار علماء الازهر له بحسب قانون الازهر ، ولما أصر رئيس الوزارة في ذلك الوقت (يحيي ابراهيم باشا) على وجوب محاكمته وعضده أكثر أعضائها استقال وزير الحقانية هو وسائر الوزراء الذين من حزبه الحر الدستوري كما هو مشهور ولم ينسه الجمهور

وهذا الدكتور طه حسين قد جعل كتابه الجديد هدية إلى صاحب الدولة عبد الخالق باشا ثروت وزير الخارجية في الوزارة الحاضرة وأحد الاركان المؤسسين للحزب الحر الدستوري وصدره باسمه ، وفهم الكثيرون أن رئيس الوزارة صاحب الدولة عدلي باشا قد ناضل مجلس النواب واشتدت الملاحة بينه وبين صاحب الدولة سعد باشا رئيس المجلس لأجله حتى كاد يسمح بترك الوزارة في هذه السبيل

ومما يعلمه الجمهور مع هذا أن جريدة السياسة التي هي لسان الحزب الرسمي هي اللسان غير الرسمي لهؤلاء الذين يطعنون في الاسلام ويحاولون هدم دعائمه الدينية واللغوية والادبية كالشيخ علي عبد الرازق والدكتور طه حسين وغيرهما ، وهنالك جريدة أخرى أسبوعية تمت إلى هذا الحزب بسبب ، وهي تهزأ بالدين ورجاله في كل عدد ولو بغير سبب

ومما يعلمون مع هـذا أن الملاحدة والزنادقة قد كثروا في مصر ، وأنهم صاروا يجاهرون بالدعوة إلى الالحاد ، وإلى تقليد زعماء الترك في المروق منه والتفصي من جميع مقوماته ، والانسلاخ من جميع مشخصاته ، وتقليد ملاحدة الفرنج واباحييهم دون أهل الدين منهم الذين يبذلون الملايين في تأييد دينهم ونشر دعوته في العالم ، ومن هؤلاء الملاحدة أصحاب المناصب العالية والدانية

فمن فكر في هذه المقدمات كلها يعلم أن قضية الدكتور طه حسين هي قضية التنازع بين دين الاسلام وبين الالحاد العصري كما كانت قضية الشيخ علي عبد الرازق كذلك ، وقد صرح بهذا فيها بعض كتاب الجرائد الاوربية في مصر وفي أوربة نفسها ، فاذا نرى الدكتور طه حسين منها تعد تبرئته في عرف الشرق والغرب انتصاراً للكفر على الايمان ، وللالحاد على الاسلام ، وثأراً للملاحدة من المسلمين ، وشبهة في حزب الاحرار الدستوريين ، تجرىء سائر الملاحدة على الطعن في الدين وأنه لم يبق بين اتباع الحكومة المصرية خطوات الحكومة التركية الحاضرة الا قليل .... ولا أقول أكثر من هذا ولا حاجة إلى قول يعرفه جماهير المفكرين من شرقيين وغربيين ، لا من المصريين وحدهم

ولكن يمكنني مع هذا أن أقول إن الحزب الحر الدستوري في جملته مغبون ومظلوم في جعل جريدة السياسة لسان حاله في كل ما تنشره خارجا عن الخطة السياسية الوطنية للحزب كالحملة على الدين ورجاله ودعوتها إلى تجديد الامة المصرية بثقافة جديدة تحل روابط الثقافة الاسلامية وتحل محلها ، فاننا نعرف من أعضائه المسلمين الصادقين المصلين الصائمين ، بل ربما كان في أعضائه من يكره كثيراً مما تنشره في سبيل سياسة الحزب أيضاً . وأقول أيضاً إن ما أشرت اليه من سبب تضال

صاحب الدولة عدلي باشا لمجلس النواب هو المعقول دون ماقيل وما انتشر من كون المراد به الدفاع عن طه حسين وكتابه . وأقول ثالثا ان صاحب الدولة ثروت باشا لا يعقل أن يكون قد استشير في تصدير كتاب (في الشعر الجاهلي) باسمه ، أو أنه رضي بذلك على علم بما في الكتاب

ثم أقول رابعا إن النيابة العامة اذا قررت عدم محاكمة طه حسين ، وإن القضاء اذا برأه بعد محاكمته من عقاب الطعن في الدين وتكذيب القرآن وكذا التوراة ، فلا يكون هذا ولا ذاك برهانا منطقيا ولا قانونيا على تعمد نصر القضاء الكفر على الايمان ، والالحاد على الاسلام ، لأن كلا من رجال النيابة والقضاء المشتركين في هذه القضية قد ينظرون ويحكمون بمقتضى الالفاظ التي يقولها الخصوم في مجالس التحقيق والمحاكمة ، وقد يغفلون عن كون كلام طه حسين وكلامه مخالفا لكل مافهمه رجال الدين وجماهير المسلمين والعربيين في كتاب الدكتور طه حسين ، وعن كون فهم هؤلاء الجماهير يجب أن يكون له قيمة بل أكبر قيمة في ادانته فان العبرة أو المعول في اثبات الطعن في الدين والالحاد بما يفهمه جماهير الناس منه ، لا بما يمكن أن يقال في تأويل الكلام والجدال فيه ، وقد فهم العرب والافرنج جميعاً ان الكتاب طعن صريح في القرآن والنبي وسلف المسلمين الصالحين وأئمتهم ، ونكتفي بنشر برقية واحدة مما جاء من أوربة في ذلك :

رأي أوربة في قضية الدكتور طه حسين

لندن في أول نوفمبر — لمراسل الاهرام الخاص — نشرت جريدة « الدايلي تلغراف » اليوم مقالا رئيسيا جاء فيه ما يأتي :

« ليس في العالم دين لا يوجد بين معتنقيه عدد من الهراطقة . فالدكتور طه حسين رجل جسور فلا بد أن ينال جزاءه بالاضطهاد . فمن ينتقد القرآن فهو كافر لأن القرآن منزل بحروفه . وهذا يعني أن الوحي لا يقتصر على مايقوله القرآن ، بل يشمل أيضاً معنى ذلك القول كما فسره المفسرون القدماء . ثم إن المسلم المتمسك بدينه يود أن يذهب إلى أبعد من الايمان بوحي القرآن ويريد من الكتاب أن

يكون الحجة القاطعة في الادب العربي وينكر على كل انسان أنه يستطيع الاتيان بمثل لغته العالية . فمن الصعب على العقل الغربي أن يقبل هذا . على ان المؤمنين أنفسهم قد يجدون مثل هذه الصعوبة ، فقد سأل اثنان من الصحابة النبي مرة كيف يقرأ آية قرأها كل منهما قراءة مناقضة للاخرى فأجاب ان القرآن أنزل عليه بسبع قراءات . ويظهر أن النبي لم يكن هو نفسه يكتب القرآن ، بل أنزل عليه بواسطة جبريل ، ثم توقفت هذه البلاغات المكتوبة المرسلة من السماء وجعل النبي يتكلم بصوت الوحي والصحابة يكتبون مايقول وقد نبه مرة إلى احدى الآيات قائلا انها وحي من الشيطان فنسخت

« ليس في العالم عقيدة يسهل الدفاع عنها اذا شاء الناقدون البارعون تفنيدها أمام جمهور يميل إلى النقد . ومع ذلك فاذا لم يكن الوحي هو القوة التي جعلت للقرآن ذلك السلطان فما هي تلك القوة ؟ لقد أوجد القرآن أحد الاديان العظمى التي يعتنقها الجنس البشري وهو منذ ألف سنة من أعظم القوى الموجودة في العالم »

(المنار) اقتصرنا على هذه الترجمة لأن صاحب الجريدة الانكليزية زاد على وصف طه حسين بالمرطقة (يعني محاربة الدين) أن أيده في هرطقته بأمور تشير إلى تخطئتها بالاعجاز وشهد للقرآن شهادة معقولة نصفع بها وجوه الملاحدة ودعاتها الذين يحاولون سلب هذه القوة من المسلمين والذين لايفقهون سر إعجاز القرآن، فنقول:

(١) إن الكاتب الانكليزي علل كفر من ينتقد القرآن بأنه منزل بحروفه واستنبط من هذا أن تفسير القدماء للقرآن يدخل في معنى الوحي . ومراده أن من ينتقد تفسير المتقدمين كان كافراً كالذي ينتقد عبارة القرآن المنزلة . يشير إلى أن طه حسين قد يضطهد بمخالفته لتفسير قدماء العلماء ! وكأنه يلقنه بذلك نوعا من أساليب الدفاع

وجوابه أن هذا خطأ كبير فانه لم يقل أحد من علماء المسلمين وأئمتهم إن تفسير أحد من القدماء له حكم نص القرآن نفسه ، وكثيراً مانرى متأخري المفسرين يخالفون بعض المتقدمين في تفاسيرهم حتى مفسري الصحابة منهم . نعم ان اجماع أهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين على تفسير آية معتبر من أدلة

الشرع الواجب اتباعها ، ولكن مخالفه لايعد كافراً إلا اذا كان أمراً معلوما من الدين بالضرورة وكان المخالف غير حديث عهد بالاسلام - أو كان قد علم به وكذبه أو جحده . فالمدار في التكفير على اعتقاد المخالف أن هـذا من قطعيات الدين المنصوصة في القرآن ومخالفته أو جحوده مع ذلك .

(٢) قال: ان المتمسك بدينه يود أن يذهب إلى أبعد من الايمان بوحي القرآن الخ وجوابه أن كل من قرأ القرآن أو سمعه من أهل المعرفة الصحيحة باللغة العربية والذوق السليم في آدابها من المسلمين وغير المسلمين كانوا — وما زالوا — يؤمنون بما ذكر الكاتب الانكليزي من خصائص المسلم المتمسك بدينه وهو أن القرآن « هو الحجة القاطعة في الادب العربي ، وأنه لم يستطع ولن يستطيع أحد الاتيان بمثل لغته العالية » . ولا نسلم للكاتب قوله إن العقل الغربي يصعب عليه أن يقبل هذا فضلا عن قوله ان المؤمنين أنفسهم قد يجدون هـذه الصعوبة . وذلك أن العقل الغربي السليم لا يمكن أن يحكم في أمر لا يعرفه وهو ليس محالا لذاته

من المنصوص في القرآن والمعروف بالتواتر الإجمالي من تاريخ الاسلام أن النبي ﷺ قد تحدى عرب قريش وهم أفصح العرب لغة ثم تحدى سائر الخلق بالاتيان بمثل القرآن أو بسورة من مثله ، وجعل هـذا آيته الكبرى على كو وحياً من الله وصرح بأنهم لن يستطيعوا ذلك فقال حاكياً عن الله تعالى (ولن تفعلوا) فلو قدر أحد من الكافرين به وكان أكثرهم كافرين أن يأتوا بسورة من مثله لأتوا بها لابطال دعوته والاستراحة من تعادي القبائل بعقائله ، ولكن ظهر عجزهم وعجز جميع الخلق عن الاتيان بسورة من مثله في بلاغته وهم عن الاتيان بمثله في هدايته أعجز ، فهذا النوع من اعجازه قد اعترف به الكاتب الانكليزي وغيره من الغربيين ، ولكنه امترى في اعجازه ببلاغته لانه لايعرف لغته فهذا العجز حجة للمسلمين الذين يعرفون البلاغة العربية والذين يجهلونها من الاعاجم وعوام العرب على اعجاز القرآن وصدق وعد الله عز وجل ، وهي حجة واقعية قطعية لايمكن المراء والجدل فيها ، ولا مجال هنا للزيادة على هذا وقد بسطناه في مواضع من التفسير وغير التفسير

(٣) زعمه أن اثنين من الصحابة (رض) سألا النبي (ص) مرة « كيف

يقرأ آية قرأها كل منهما قراءة مناقضة للاخرى فأجاب ان القرآن نزل عليه بسبع قراءات »

هذا النقل أو الزعم باطل ، وله أصل حرفه أو لم يفهمه الناقل ، كدأب خصوم الاسلام فيما ينقلون عنه . ونحن نذكر أصله الصحيح ، ليعلم من يريد العلم الحق كيف يكون الاختلاف والتحريف .

أقول أولا إن قراءة القرآن بالسبعة الاحرف وردت في حديث مستقل غير حديث اختلاف بعض الصحابة في القراءة فقد روى احمد والبخاري ومسلم من حديث ابن عباس (رض) أن رسول الله (ص) قال « اقرأني جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيد لي حتى انتهى إلى سبعة أحرف » وفي بعض الروايات أن النبي (ص) قال له « هون على أمتي — وفي رواية ان أمتي لا تطيق ذلك » كما في صحيح مسلم من حديث أبي بن كعب ، وهذه علة منصوصة في سبب تعدد القراءات تنافي أن تكون لتصحيح ما اختلف فيه بعض الصحابة .

ثم أقول إن الاختلاف وقع بين عمر بن الخطاب وحكيم بن هشام (رضي الله عنهما) في بعض آيات سورة الفرقان كما في الصحيحين وكل منهما ادعى أن النبي ﷺ اقرأه كما قرأ فلببه عمر بردائه وأخذه إلى النبي ﷺ وقص عليه ماسمعه منه مخالفا لما اقرأه ﷺ فصدق كلا منهما بأنه هو الذي اقرأه كما قرأ وقال « ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ماتيسر منه » ووقع مثل ذلك لغيرهما . ولم يذكر احد من الرواة ما اختلف فيه عمر وهشام ، فمن أين أخذ هذا الانكليزي قوله ان قراءة كل منهما كانت مناقضة للاخرى ؟ هذا اذا كان قد عبر بما يدل على المناقضة المعروفة في اللغة العربية أو اصطلاح علماء المناظرة عندنا . فأما اذا كان تعبيره بمعنى المخالفة التي تصدق بالقطعية بحيث لا ينقض معنى كل قراءة معنى الاخرى فيكون كلامه صحيحا . وفي الفرقان ألفاظ كثيرة اختلف القراء في قراءتها فمنها المتواتر الذي يعد قرآنا ، ومنها غيره وهو لا يعد قرآنا ، فالاول كقراءة (ويجعل لك قصوراً) بضم لام يجعل وبجزمها ، وقراءة ضيقا من قوله تعالى (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا) بتخفيف الياء و بتشديدها ، و أمثال ذلك مما لا يتناقض معناه

(٤) قوله : « ويظهر أن النبي لم يكن هو نفسه يكتب القرآن » الخ وهذا لايحتاج الى استنباط منه أو استظهار فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا – وأميته من دلائل نبوته – لايكتب شيئاً وانما كان يكتب له أصحابه كل ما يوحى به اليه ويحفظونه ويقرءونه كما يقرأه صلى الله عليه وسلم في الصلوات الخمس وفي خارجها كل يوم . والذين اختلفوا من الصحابة في بعض الالفاظ من سورتي الفرقان والنحل سمعه بعضهم من بعض في الصلاة .

(٥) قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه نبه مرة إلى احدى الآيات قائلا أنها وحي من الشيطان فنسخت » غير صحيح ، وهذه هي المسألة المعروفة بمسألة الغرانيق وقد كتب شيخنا الاستاذ الامام مقالا مسهباً في تحقيق الحق فيها يراجعه من شاء في المجلد الرابع من المنار أو في ملحقات تفسير الفاتحة المطبوع مراراً

(٦) قوله « ليس في العالم عقيدة يسهل الدفاع عنها » الخ هذا نفي مطلق لايجزم به عقل منطقي ، والدفاع عن وجود الله ووحدانيته وحكمته من أسهل الامور وقد جزم بها أكثر البشر من جميع الملل والنحل والمنكرون لها على قلتهم لم يسمعوا براهينها من أهل العلم الصحيح ، ومن سمع ذلك وماري فيه فشأنه كشأن السوفسطائية الذين أنكروا الحسيات وماروا فيها فلا يعتد بانكارهم إذ مقتضاه أنه لايثبت في العالم شيء ، وهذا جهل ماوراءه جهل

وأما شهادة الكاتب الانكليزي التي حمله استقلال عقله على التصريح بها فهي أن سلطان القرآن الروحي الذي حدث به ذلك الانقلاب العظيم في البشر وأوجد أحد الأديان العظمى فيهم وهو منذ ألف سنة ونيف « من أعظم القوى الموجودة في العالم » — اذا لم يكن هذا السلطان وهذه القوة قوة الوحي الالهي وسلطانه فأي شيء هما ؟ وهذا بمعنى ماقلناه وكتبناه مراراً وهو ان إعجاز القرآن بهدايته ، أعظم من اعجازه ببلاغته ؛ وقد صرح بمعناه غير هذا الكاتب من حكماء الغرب

إننا نكتفي في هذه المقالة بل العجالة بتنبيه الأذهان لخطر هذا الكتاب وأمثاله من مكتوبات الدكتور طه حسين واخوانه دعاة الالحاد وأوليائهم وندع

الرد على قضايا كتابه في الشعر الجاهلي أو الأدب الجهلي الى الدين وجدوا من فراغ الوقت ما شغلوه بالرد على قضاياه الباطلة وشبهاته العاطلة . ووجه الخطر أنه دعوة الى الكفر والالحاد وتحقير الدين والصدعنه ولاسيما في ناشئة المدارس العليا وغيرهم ونحن ما زلنا نذكر الأمة بخطر هؤلاء ، وضررهم منذ بلغنا أنهم ألفوا جمعية للتعاون على افساد الدين في مصر ، وكان أول من بلغنا هذا الخبر بعد وقوفه عليه المرحوم الشيخ محمد مهدي أحد أساتذة البلاغة والدين في دار العلوم ثم في مدرسة القضاء الشرعي التي صار وكيلا لها . ثم بلغنا في العام الماضي ان لهم أو لبعضهم صلة خفية بجمعية يهودية في مصر الجديدة تساعدهم على سعيهم هذا . والله أعلم

ولا شك عندنا في أن هذا الافساد هو أفعل أسباب ما تفاقم خطبه في بلادنا هذه من تهتك النساء والشبان واستباحة الأعراض وانحلال روابط البيوت وذهاب الصحة والثروة ، وكذا الاستعداد لقبول تعاليم البلشفية وغيرها من بدع الافرنج التي لا تقوى بنية دولتنا ولا بنية أمتنا الاجتماعية والعلمية بدون الدين على ما تقوى عليه من [illegible] وقوتها العسكرية

(فان قيل) ان [illegible] بهذه التهمة بأنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (قلنا) ان مثل هذا التصريح المجمل المبهم في مقام دفع التهمة لا يسلب منا لغتنا ولا عقولنا فتغير فهمنا لكتابه هذا وغيره من مكتوباته ومقالاته

أهكذا يكتب المؤمنون ؟ يضعون كلام الله المنزل موضع الشك بل ينظمونه في سلك الاساطير الخرافية ثم ينقضونه بنظريات مخترعة لبعض أعداء الاسلام ؟ الايمان بكتب الله هو التصديق اليقيني بكل ما أنزله الله تعالى فيها مع الاذعان النفسي والعمل له ، فكيف يصدر عن صاحب هذا الايمان ما ذكرناه وما لم نذكر من تشكيك في القرآن فتكذيب مقرون بالهزؤ فترجيح لطاعن أعدائه فيه على نصوصه

الايمان بالرسول ﷺ هو تصديقه اليقيني القطعي في كل ما جاء به عن الله تعالى مع الاذعان النفسي والعمل لذلك وهو يقتضي تعظيمه وتوقيره وتعزيره أي نصره وتفخيمه . وتقديم حكمه على كل حكم ، واننا نرى له في هذا الكتاب

مازرى من التكذيب والمرق ، ونراه اذا ذكر النبي الذي يدعي ملته فانما يذكره كما يذكره الكافرون به بلا تعظيم ولا صلاة ولا سلام عليه !

قد كان يمكن لطه حسين أن يذكر شبهات أعداء الاسلام على بناء ابراهيم واسماعيل لبيت الله تعالى (مثلا) بطريق الحكاية عنهم ، وكان من مقتضى الايمان ان يقفي عليها بالرد ، أو يجري فيها على قاعدته (التشكيك) على الاقل ، أو يقول هذه نظريات مردودة عندنا معشر المسلمين — أو عند المسلمين — اذا لم يشأ أن يعد نفسه منهم - بنص القرآن الصريح الذي وصف في بعض سوره بأنه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد) ولكنني لم أر فيما قرأت من الكتاب جملة تدل على أن كاتبه مسلم أو يدين بدين ، وسأعود إن شاء الله تعالى إلى النظر فيه ، فان وجدت شيئاً من ذلك أثبته له .

وصفوة القول فيه انه لو لم يكن قاصداً متعمداً متوخياً تجريد تلاميذه من دينهم ووطنيتهم ، لاخرجهم [illegible] وان شاء ربى عليها أولاده الذين يسميهم بأسماء الافرنج دون أسماء المسلمين ، احتقاراً لهذه الامة وهذا الدين ،

جهل زعماء المسلمين

﴿ ومفاسد أهل الطرق والشرفاء وكونهما سببا لفشل زعيم الريف المغربي ﴾

ان أهل الطرق المنتسبين إلى الصوفية قد أفسدوا على عامة المسلمين في الشرق والغرب دينهم ودنياهم ، وكان افسادهم في افريقية أشد منه في آسية ، ولم يكفهم تشويه الاسلام بالبدع الذي يعد كثير منها ارتداداً عن الاسلام ، بل صاروا أعواناً للفاتحين السالبين لملك المسلمين وأولياء لهم على المسلمين ، وقد بلغنا من رواية الثقة من أهل المغرب الاقصى ان بعض مشايخ الطريقة التيجانية الزائغة وغيرها كانوا أكبر أعوان الاجانب على الزعيم محمد عبد الكريم في قتاله لدولتي اسبانية وفرنسة في الريف . ثم قرأنا في جريدة الشورى الاسبوعية حديثا له في معتقله نشر في بعض الجرائد الغربية وهو كما يدل على فساد مشايخ الطرق وافسادهم يدل على جهل في الزعيم كان سبب فشله

والانتصار للشايخ فالاجانب عليه، فبعض الحديث حجة له وبعضه عليه قال :

حديث محمد عبد الكريم

أردت أن أجعل الريف بلاداً مستقلة كفرنسة واسبانية وأن أنشئ فيها دولة حرة ذات سيادة، لا إمارة خاضعة لأحكام الحماية أو الوصاية. فحاولت في بدء الامر أن أفهم مواطني أنهم لا يستطيعون البقاء إلا اذا كانوا متضامنين كالبنيان المرصوص وعملوا بصدق وإخلاص على تأليف وحدة قومية من القبائل المختلفة الاهواء والنزعات . أي اني أردت أن يشعر مواطني بأن لهم وطناً كما لهم دين .

انتقدني المنتقدون كثيراً لأني في مفاوضات (وجدة) طلبت بإلحاح تحديد معنى الاستقلال، فان هذا التحديد كان ضرورياً جداً لأن غرضنا كان الاستقلال الحقيقي الذي لا تشوبه شائبة . الاستقلال الذي يكفل لنا الحرية التامة في تعيين مصيرنا وادارة شؤوننا الاستقلالية وعقد الاتفاقات والمحالفات التي نراها موافقة لنا

وكنا أنا وأخي أطلقنا على بلادنا اسم «جمهورية الريف» منذ سنة ١٩٢٣ وطبعنا في رأس أوراق الحكومة علينا هذا الاسم للدلالة على أننا دولة مؤلفة من قبائل مستقلة متحالفة لا دولة نيابية ذات برلمان منتخب . أما اسم الجمهورية فلم يكن ليتخذ معناه الحقيقي في نظرنا إلا بعد مدة من الزمن لأن جميع الشعوب تحتاج حين تأليفها إلى حكومة حازمة وسلطة قوية ونظام قومي متين

ولكن لسوء الحظ لم يفهمني غير أفراد قلائل يعدون على أصابع اليدين . بل كان أخلص أنصاري وأكثرهم علماً وذكاء يعتقدون أني بعد احراز النصر سأترك لكل قبيلة حريتها التامة مع علمهم بأن ذلك يعيد البلاد إلى أشد حالات الفوضى والهمجية

وكان التعصب الديني أعظم أسباب فشلي إن لم أقل انه سببه الوحيد . لان مشايخ الطرق أعظم نفوذاً في الريف منهم في المغرب الاقصى وفي سائر بلدان الاسلام، وكنت عاجزاً عن العمل من دونهم ومضطراً إلى التماس مساعدتهم كل حين .

وقد حاولت في أول الامر أن أستميل الجماهير إلى رأيي بالحجج والبراهين

ولكني صادفت مقاومة عظيمة من الاسر الكبيرة ذات النفوذ إلا أسرة «خلاشة» التي كان رئيسها صديقاً قديماً لوالدي . وأما الباقون فقد كانوا أعداء لي ولا سيما بعد ما أنفقت من أموال الاوقاف لشراء معدات الحرب . فانهم لم يفهموا أن الاموال لا يمكن أن تصرف على مشروع أشرف من مشروع استقلال البلاد

ولا أنكر أني اضطررت في بعض الاحوال إلى استخدام الشعور الديني لتأييد سياستي : مثال ذلك أن الاسبانيين بعد ما احتلوا اجدير أكرهوا على الجلاء عن قسم منها كان فيه مسجد لم يحترموه بل جعلوه اصطبلا . فلما بلغني ذلك أمرت ثلاثة من القواد المشهورين بالورع والتقوى أن يحققوا الامر بأنفسهم . وقد ضاعف عملي هذا حماسة المحاربين وزاد تعلقهم بي وبقضيتي .

والحقيقة أن الاسلام عدو التعصب والخرافات وأنا أعرف من قواعده ما يجعلني أؤكد للملأ أن الاسلام الذي أعرفه في المغرب والجزائر بعيد جداً عن الاسلام الذي جاء به النبي العظيم . فإن الذين ادعوا خطأ وبهتاناً أنهم من تلك السلالة الطاهرة وجهوا كل اهتمامهم إلى اكتساب عطف الشعب على أشخاصهم الفانية ، وأقاموا أنفسهم أصناماً يعبدها الجهلاء ، وأنشأوا طرقاً دينية حولوها إلى جيش منظم لخدمة أغراضهم الشخصية . مع أن الاسلام أبعد ما يكون عن تقديس الاشخاص لانه يأمر بالاخاء والاتحاد في وجه العدو ويحض على الموت في سبيل الحرية والاستقلال ولكن مشايخ الطرق ورؤساء الدين عبثوا بكتاب الله وسنة رسوله ارضاء لشهواتهم وسداً لاطماعهم ولم يشتركوا في الثورة بحجة أن القتال في سبيل الوطن لا يعنيهم وأنهم لا يقاتلون إلا في سبيل الدين .

وقد أفرغت قصارى جهدي لتحرير بلادي من نير مشايخ الطرق هؤلاء الذين هم عقبة في سبيل كل حرية واستقلال . وكانت خطة تركيا قد أعجبتني كثيراً لعلمي بأن البلدان الاسلامية لا يمكن أن تستقل ما لم تتحرر من التعصب الديني وتقتدي بالشعوب الاوربية . ولكن الريفيين لم يفهموني لسوء حظي وحظهم حتى ان قيامة المشايخ قامت عليّ لأني خرجت في احدى الايام بلباس ضابط على أني لم أعد إلى مثل هذا العمل فيما بعد .

وكان مشايخ الطرق ألد أعدائي وأعداء بلادي كما تقدم فلم يحجموا عن شيء في سبيل احباط مساعي حتى أذاعوا في طول البلاد وعرضها أني أريد الاقتداء بتركيا وأن ذلك يقضي حتما بتغيير عادات البلاد وتقاليدها واطلاق حرية المرأة فتخرج سافرة بالبرنيطة وتلبس كنساء الافرنج وتقلدهن في عاداتهن إلى غير ذلك مما عزوه إليّ .

وقد اقنعني دسائس هؤلاء المتعصبين الجهلاء بأن التطور في كل بلاد لهم فيها نفوذ قوي لايمكن أن يتم إلا ببطء وبالالتجاء الى القوة والعنف .

ويجب أن أعلن هنا أني لم أجد في الريف أقل عضد في مساعي الاصلاحية وأن فريقاً قليلا من سكان فاس والجزائر فهموني وأيدوني ووافقوا على خطتي لانهم على احتكاك بالاجانب ولأنهم يعرفون أين هي مصلحة بلادنا الحقيقية .

وخلاصة القول أني جئت قبل الأوان للقيام بمثل هذا العمل ولكني موقن بأن آمالي ستحقق عاجلا أو آجلا بحكم الحوادث وتقلبات الاحوال . اه كلامه

(المنار) قد شهد الزعيم المغربي على نفسه بأنه لم يدر كيف يسوس قومه ، فهو كما استفاد من خدمة الدولة الاسبانية ما علمه كيف يدير حركة الدفاع عن بلاده ادارة فنية عصرية زادت قيمة شجاعة قومه أضعافا قد فتن بظواهر الحضارة الاوربية حتى انه اراد أن يقلدها فيما يضعف قوة قومه الروحية ، ويحل روابطهم الملية ، ويستبدل بهما مايسمى بالرابطة او الحمية الوطنية ، أى أراد أن يقتدي بالاتراك الكماليين اللادينيين فيما لايدركه ولا يستحسنه غيره هو في وطنه ، جاهلا ان الترك ما أقدموا على هذا الخطب العظيم الا بعد الاستعداد له زهاء قرن كامل . ولولا ان أكثر رؤساء الجند الكبير المنظم الذاملين للسلاح على رأي مصطفى كمال لما استطاع ان ينفذ هذه الخطة في هذا الشعب الاسلامي مع تمهيد جمعية الاتحاد والترقى السبيل له ، ومع هذا ترى البلاد ثارت عليه وحاولت اغتياله مرارا

ان ماسماه محمد عبد الكريم تعصبا دينيا وذمه ولم يجد وسيلة لقمعه الا تقليد الترك الكماليين ليس تعصبا للدين بل هو جهل لا يداوى بقمع القوة بل بنشر العلم ، وكان يجب عليه تأجيل ذلك الى مابعد نيل الاستقلال ، وكان يمكن الزعيم ان يعبر عن قتاله بأنه قتال في سبيل الله لان الشرع يأمر به والنصوص على ذلك في جميع كتب الفقه صريحة ولكنه قصر لقلة اطلاعه على كتب الشرع والخداعه بامكان جعل الوطنية مكان الدين وجهله بامكان الجمع بينهما . وقد كان هذا اهم ماينقصه من صفات الزعيم الحاكم لبلاد

إسلامية . والدليل على جهله هذا إعجابه بخطة الترك الذين أضاعوا أعظم سلطنة في الارض ، بجهلهم ما يحتاج اليه من يسوس الشعوب الاسلامية في هذا العصر . واقتدائهم عار بأم عليه وأشأمهم به الافرنج ، وصارو الامارة صغيرة تحيط بها الاخطار من كل جانب . وسترى ما يكون من أمرهم في انفسهم ومع الاجانب ، فاذا أول خطأ ظهر لهم في نبذ الشرع الاسلامي ، وانتحال التشريع الاوربي ، ولبس البرنيطة ... أنهم كانوا يظنون ان اوربة تعاملهم بهذا معاملة الاقران والامثال ، وأنها لم تكن تناوئهم الا لتمسكهم بالاسلام ، فبدا منهم ما لم يكونوا يحتسبون .

أنباء العالم الإسلامي

﴿ الحجاز والمؤتمرات الاسلامية في الهند وجاوه ﴾

ألفت في الهند [illegible] جمعية خدام الكعبة كان من مقاصدها الأساسية الدعاية للسياسة التركية وجعلت أمر خدمة الكعبة حجابا لها دون حكومة الهند وقد هتك جورج فيلبدس الذي كان رئيس البوليس السري بمصر حجابها للدولة البريطانية في أثناء الحرب ، فطاردتها فانحل عقدها وخلف من بعدها جمعيتان جهريتان إحداهما سياسية تركية وهي جمعية الخلافة المناوئة للسياسة البريطانية ، وجمعية خدام الحرمين الموالية لحكومة الهند والدولة البريطانية كجمعية الديانة المسيحية القاديانية الملقبة بالأحمدية .

أما جمعية الخلافة ففيها أساطين رجال الهند وهي أقوى جمعيات المسلمين فيها ، وسنتكلم عنها في مقال خاص عند سنوح الفرصة . وأما جمعية خدام الحرمين فأكثر أعضائها من الحشوية ، وطلاب المنافع المادية ، وأنصار البدع والخرافات . ولما تصدت جمعية الخلافة للانتصار للسلطان ابن السعود كجمعية أهل الحديث على الملك حسين بن علي لالحاده في الحرم وخدمته مع أولاده للسياسة الأجنبية وموالاتهم لها ، قامت جمعية خدام الحرمين بمشايعة الملك حسين ثم ولده الشريف علي ، وكان المحرك لها من وراء الدسائس السياسية حزب الشيعة

المناوئين للنجديين لاعتصامهم بالسنة اعتقاداً وعملا ولأنهم من العرب الخلص، وقد أرسلت هذه الجمعية وفداً الى الحجاز لبث الدسائس والفتن فيه ، وذلك قبل موسم الحج الماضي ، فعاملهم ابن السعود أولا بالحلم وسعة الصدر ، ولما علم بدسائسهم وفتنهم وسوء نيتهم طردهم من الحجاز فجاؤا مصر ونشروا في المقطم وغيره طعناً شديداً فيه وكراسة ذكروا فيها من قصصهم أنهم سألوه أسئلة كثيرة كلفوه أن يجيبهم عنها كتابة وهي متضمنة لاتهامه واتهام قومه بالجرائم كأنهم قضاة يحققون قضايا جنائية من رعية دولتهم يطالبون من الملك أن يعترف بها أو يبرئ نفسه منها ! ! ومتضمنة أيضاً للبحث عما عنده من الأسلحة وعن أمكنتها كأنهم مجلس أركان حرب يحاكم قائداً من القواد التابعين له على تهم وخيانات عسكرية ، فأي صعلوك من صعاليك الناس يرضى لنفسه أن يقف أمام هؤلاء الأجانب الفضوليين هذا الموقف الذي أرادوا أن يقفه ملك الحجاز وسلطان نجد بين أيديهم ؟

ثم رجع هذا الوفد الى الهند [illegible] وقد ألقوا في ربيع الاول الماضي مؤتمراً في [illegible] حزب الشيعة أكثروا فيه الكذب واختلقوا الافك على ملك الحجاز وسلطان نجد والنجديين كعادتهم وأرسل رئيس الجمعية برقية بقراراته الى نقابة الصحافة بمصر والى سائر الاقطار ننقلها عن جريدة كوكب الشرق مع تعليقها عليها من العدد الذي صدر في ٢٧ ربيع الاول الماضي وهذا نصها :

﴿ قرار غريب حول الحجاز ﴾

تلقت نقابة الصحافة المصرية التلغراف الآتي ليل أمس من اوكنو (الهند)

« اجتمع مؤتمر الحجاز الذي يمثل جميع طبقات مسلمي الهند (!) في اوكنو تحت رئاسة (ساليبوي بارو داوال) شريف بومباي ووضع قرارات خطيرة سجل فيها استياءه العظيم من أعمال النجديين كتدمير المقامات والآثار القديمة والاعتداء على المسلمين الابرياء من رجال ونساء (!) وصرح أن المسلمين عازمون على اتخاذ جميع التدابير الممكنة لاخراج ابن السعود من الحجاز الذي لايحق له أن يحكمه ولا سيا بعد هذه الاعمال

ومن جملة القرارات التي وضعها المؤتمر قراران ينص أحدهما على وضع نظام

الحجاز يقبله الحجازيون ويرضي روح العالم الاسلامي . وينص الثاني على تنفيذ الشرع ومبدأ حق تقرير المصير

واحتج المؤتمر في قرارات أخرى على تجريد حكومة نجد الحجازيين من السلاح وأعرب عن عدم استطاعة مسلمي الهند أن يساعدوا في أي مشروع كتمديد الخطوط الحديدية وما أشبه ذلك في ظل النظام الحالي

وقرر المؤتمر وقف الحج(!)لأن النجديين يعدون جميع المسلمين من غير الوهابيين كفاراً أبيحت لهم أموالهم وأرواحهم(!) ونصح المؤتمر لجميع البلدان الاسلامية أن تفعل مثل ذلك وتساعد الحجازيين المتألمين ، وقرر أن يؤلف وفداً من كبراء المسلمين يطوف المراكز الاسلامية الكبرى لهذه الغاية قطب الدين

رئيس جمعية خدام الحرمين

(الكوكب)ونحن نقول إن هذا القرار لم يكن له محل ولا مكان ، بعد البيان الرسمي الذي أذاعه جلالة ملك الحجاز بشأن المقامات الدينية في مكة المكرمة وانصافاً للحقيقة ننشر اليوم نص هذا البيان بنصه وهو :

نشر بعض المرجفين أن في نيتنا هدم القبة النبوية لذلك انشروا باسمنا أن كل مايقال من العزم على هدم القبة النبوية كذب لا أصل له ، والقبة الخضراء وقبر الرسول في حفظ وأمان بحول الله . وإنا نفديها بأموالنا وأولادنا وأنفسنا ولا يمكن أن يصيبها أذى وفينا عرق ينبض . كذلك جميع قبور الصالحين نحافظ عليها ونحترمها ونصونها من كل أذى ونرى ذلك ديناً نعاهد الله عليه

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

عبد العزيز

وأنا ردت عليهم صحيفة كوكب الشرق بالبرقية الرسمية التي نشرها ملك الحجاز لظنها أنهم يعتقدون صحة مارموه بها وأنهم سيرجعون عنه بعد علمهم ببرقية الملك لذلك كتبنا مقالا نشرناه في جريدة البلاغ بينا فيه حقيقة هذه الجمعية وما جاء في جرائد الهند من كون مؤتمرها قد ألف بأمر وسعي ومال زعيم الشيعة الاكبر (راجا محمود آباد) وأن هذا المثري الكبير قد جمع من ماله وأموال أغنياء

الشيعة في الهند مبلغاً كبيراً من المال لأجل بث الدعوة في الهند وافغانستان وغيرها من البلاد لاقناع عوام أهل السنة بترك فريضة الحج مادام ابن السعود ملكا على الحجاز والسعي لاقناع أمراء المسلمين وملوكهم بالاتحاد مع دولة ايران الشيعية لاخراجه من الحجاز . واستأجر الراجا هذه الجمعية لبث الدعوة وكان هذا أول عملها، ولكن لم يحضر مؤتمرها أحد من كبار أهل السنة ولا من جمعياتهم .

ولولا الغرور بالمال لما تجرأت جمعية حقيرة في وطنها على التصريح بعزم (المسلمين) على اتخاذ جميع التدابير الممكنة لاخراج ابن السعود من الحجاز ! !

ولما رأى المهراجا عظيم الشيعة ان هذا المؤتمر كان هزؤاً وسخرية للمسلمين سعى الى عقد مؤتمر آخر في بمبي كانت عاقبته شراً من عاقبة المؤتمر الاول . وهاك نص البرقية التي جاءتنا وجاءت عامة الصحافة في أمره وهذه ترجمتها :

(مؤتمر الحجاز الهندي)

« ختم المؤتمر الشيعي مؤتمر الحجاز الهندي أعماله في ٢٦ سبتمبر الماضي . ولم تشترك فيه قط أية جمعية اسلامية مهمة كلجنة الخلافة المركزية وجمعية علماء الهند وجمعية أهل الحديث ولجنة حماية الاسلام ومؤتمر التعليم الهندي العام في البنجاب ومعاهد عليكره الاسلامية المهمة . وانما حضره الزعيمان محمد علي وشوكت علي بصفتهما الشخصية . وقد تمت جميع اجراءات المؤتمر طبقاً لتعليمات ورغائب عميد الشيعيين في لكنو (مهراجا محمود آباد جهانكير باد) وبعض العلماء الايرانيين . وعرضت رياسة المؤتمر على كثيرين من مشاهير زعماء المسلمين فلم يقبلها أحد منهم . وقبلها (صاحب بهائي بارودا ولا) وهو شيعي من بهرة غير معروف لا في عالم الدين ولا في عالم السياسة

« وقد احتج المؤتمر على وجود السلطان ابن السعود في الحجاز ، ومن الخطط المحزنة التي اقترحت نشر الدعوة لمقاطعة الحج . فأسف لهذا العمل البعيد عن روح الاسلام جميع كبراء الساسة ورجال التعليم والمعرفة وعدوه غير قابل للتطبيق ومناقضاً للحكمة السياسية وضربة في صميم الوحدة الاسلامية » اسماعيل الغزنوي

من أعضاء لجنة الخلافة

مؤتمر جمعية الخلافة المنتظر .

وستعقد جمعية الخلافة مؤتمراً في لكهنو أيضاً يبحث في مسألة الحجاز ومؤتمره وسيكون الزعيمان محمد علي وشوكت علي فيه خصوما لملك الحجاز فيما يظهر لنا ونحن نعتقد أن جميع رجال الاصلاح الديني في الجمعية والعقلاء المعتدلين من رجال السياسة يعتقدون أن الزعيمين مخطئان في معاداة ملك الحجاز وسلطان نجد لأنه أكبر قوة إسلامية في الارض بعد سقوط الدولة العثمانية وصيرورة حكومة الترك لادينية ، وأن هذه القوة هي الوحيدة التي تنصر السنة وترفض البدع والدجل الذي هو سبب ارتداد كثير من المسلمين عن دينهم آناً بعد آن ، وأنهما انما يناوئانه بالباطل اتباعا لهواهما واستمالة لشيعة الهند وعوامها الخرافيين .

وهؤلاء الزعماء أعلم من محمد علي وشوكت علي بحقيقة الاسلام وبالسياسة المثلى له وبمصلحة المسلمين، وأبعد منهما عن اتباع الهوى ، ولكن الزعيمين الاخوين أقوى إرادة وأمضى عزيمة وأقدر على استمالة العوام بزخرف الكلام وبدموعهما السجام فاذا أتيح لهما الرجحان على أصحاب العقول الراجحة كحكيم الزمان أجمل خان والدكتور احمد أنصاري وعلى أصحاب السن والعلم الديني كالشيخ أحمد أبي الكلام ، فستكون جمعية الخلافة آلة بيد غلاة الشيعة لمحاربة السنة ، بل لمحاربة الفرض والسنة ، كالدعوة إلى ترك فريضة الحج ولتفريق كلمة المسلمين التي يحاول ابن السعود جمعها في المؤتمر الاسلامي

مؤتمر الجمعيات الاسلامية بجاوة

سمعنا من بعض دعاة التشيع ومناوأة ابن السعود في مصر أن مؤتمر الجمعيات الاسلامية في جاوه قد انعقد في سورابايه، واشترك فيه زهاء أربعين جمعية تمثل الرأي العام الاسلامي في جزائر الهند الشرقية وقرر مقاومة ابن السعود والدعوة إلى ترك أداء فريضة الحج مادام مستولياً على الحجاز ، فقيل له قد بقي عليكم شيء آخر أشد نكاية فيه ، وهو ترك الصلاة إلى قبلة الاسلام بيت الله الحرام فان من يستحل ترك فريضة الحج لما ذكر يستحل ترك صلاة الاسلام أيضاً !! ثم علمنا من جرائد سورابايه العربية حتى المعادية لابن السعود أن المؤتمر المذكور أيد ابن السعود

وقد زارنا في هذه الأيام الشاب الذكي النبيه السيد عبدالله بن سالم العطاس قادما من سورابايه وبلغنا سلام زعماء المسلمين وطلاب الاصلاح في جاوه ، وكان ممن حضر المؤتمر وسافر بعده الى جدة بطريق مصر ليكون عضواً في فرع البنك الهولندي الذي سيفتتح فيها لتسهيل المعاملات مع الحجاج الجاويين وغيرهم ، فسألناه عن دعوة التشيع التي بثها بعض العلويين في جاوه ، فكانت سبب الشقاق بين المسلمين ومشاقة الكثيرين للعلويين بعد ما كان من الاجماع على اجلالهم . فأخبرنا أن تأثيرها ضعيف ، وان الكثيرين من العلويين أنفسهم مخالفون لها ودعاة سنة واتفاق بين المسلمين . ثم سألناه عن خبر المؤتمر فقال ماملخصه :

عقد المؤتمر جلسته الاولى في ١٢ ربيع الاول الانور تيمنا بذكر المولد النبوي الشريف وهو مؤلف من مندوبي جميع الجمعيات الاسلامية في البلاد الجاوية أو جزائر الهند الشرقية بمدينة سورابايه فكان جمعية واحدة ، وحضر المؤتمر أيضا مندوبون عن الجرائد المنتشرة في جميع البلاد وكثير من وجهاء البلاد وأهل الرأي والمكانة فيها ومئات من علماء [illegible] [illegible] [illegible] على كل من يدخله دفع روبية هولندية لدخله الأول كثيرة وذكر أنهم أرادوا تقليل ازدحام العوام فيه

قال وكان أول الخطباء فيه أعضاء المؤتمر المكي الحاج عمر سعيد شكروأمينوتو والحاج منصور فذكروا لممثلي الامة ماشاهدوه من الامن في الحجاز وأثنيا على الملك ابن السعود أجل الثناء ولخصالهم المهم من قرارات المؤتمر الاسلامي العام ، فنال كلامهما الاستحسان العام ثم قرر المؤتمر قرارات مهمة .

(منها) تأليف لجنة خاصة لتسهيل الحج على الجاويين يكون لها فروع في جميع البلاد .

(ومنها) إلغاء جمعية الخلافة بل تحويلها الى ما يعبر عنه باسم (جمعية المؤتمر الاسلامي للهند الشرقية) وهذه الجمعية لها حق الاشراف والمراقبة على جميع لجان تسهيل الحج

(ومنها) تأليف لجنة تنفيذية لجمعية المؤتمر تكون في سورابابة.

(ومنها)جمع تسعائة جنيه لنفقات المؤتمر الاسلامي بمكة المكرمة في الموسم القابل

قال : وامتنعت جمعية نهضة العلماء (الجامدين المحافظين على التقاليد والبدع وعلى مكانتهم عند العامة) فألفوا مؤتمراً خاصاً بهم لم يحضره أحد من جمعيات

المسلمين ولا من وجهائهم فكان جل ما نطقوا به حكاية ما أذاعه دعاة الرفض فيهم من زعمهم أن ملك الحجاز منع حرية المذاهب الا مذهبه ، وأنه اذا كان المسلم لا يستطيع أن يؤدي مناسك الحج كما يعتقد فلا ينبغي له الحج حتى ينجلي الأمر ويظهر أنه يستطيع العمل بمذهبه .

هذا ما لخصناه من حديث الشاب الكريم السيد عبد الله بن سالم العطاس وهو خلاصة ما علق بذهنه من جلسات المؤتمر .

وقد علم به أن هذه الجمعية الخرافية رضيت لنفسها أن تصد المسلمين عن أداء فريضة الحج وتجرئهم على هدم هذا الركن العظيم من أركان الاسلام ولعلها بأن استباحة هذا كفر وردة عن الاسلام اخترعت له بتلقين دعاة الرفض علة ظنت أنها يصح أن تكون عذراً مبيحاً للدعوة الى ترك هذه الفريضة . والعلة باطلة بشهادة عشرات الالوف الذين أدوا فريضة الحج من أهل جاوه وغيرهم فانه لم يسئل أحد منهم عن مذهبه ولم يوجد أحد من الحجاج ملتفتاً إلى ابن السعود ولا غيره بل هذا متعذر لا يمكن لأحد أن يقوم به على أنه لو صح لما كان عذراً يبيح ترك فريضة الحج فمذهب ابن السعود وهو مذهب الامام احمد بن حنبل ، واهل جاوه شافعية من اهل السنة لا يعتقدون ان مذهب الامام احمد باطل ولا ان فيه ما يبطل الحج في مذهب الشافعي (رضي الله عنهما) ولو أن ابن السعود هو الذي دعا إلى ترك الحج بأي عذر كان لاجمعوا على كفره ووجوب قتاله ، فأعداء ابن السعود هم الذين يهدمون أركان الاسلام نكاية فيه وما يتهمونه به من حمل الناس على مذهبه لو صح لم يكن لمنع الحج بل لم يكن محرما شرعا لكنه غير صحيح ! !

هذا وان جريدة الاحقاف التي تصدر في سورابايا نشرت في مقالها الاول عن المؤتمر الاسلامي فيها انه قد حضره في اليوم الاول من عقده وكلاء ٨١ جمعية ومندوبو ٢٢ صحيفة ورئيس البوليس ومستشار المسائل الاهلية والعربية للحكومة الهولندية ، وأنه عند افتتاح الجلسة بتلاوة آيات من القرآن المجيد قام جميع من حضر من الافرنج وقوفاً مع المسلمين ما عدا اثنين من المتعصبين .

ولعلنا نعود الى هذه المسألة في جزء آخر بعد قراءة كل ما تنشره الجرائد الجاوية عنه